جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

حضور نابلس في الرواية الفلسطينية الحديثة من 2000-2014 (نماذج مختارة)

إعداد
دانا عبد الجبار إبراهيم محمود

إشراف
د. عدوان نمر عدوان

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.
2018م

حضور نابلس في الرواية الفلسطينية الحديثة من 2000-2014
(نماذج مختارة)

إعداد

دانا عبد الجبار إبراهيم محمود

نُوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 23 / 5 /2018م، وأُجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
– د. عدوان نمر عدوان / مشرفاً رئيسياً	.....
– د. حسين الصياد / ممتحناً خارجياً	.....
– د. نادر قاسم / ممتحناً داخلياً	.....

الإهداء

إلى ذلك القلب الحاني الذي احتواني دائما..

إلى من كان لي خير سند وعون في الدنيا..أبي الحبيب

إلى من خبأتني في روحها قصة عشق، وأنهلتني من نبع حنانها..

إلى من سهرت علي الليالي الطوال كي أكون.... أمي الحبيبة

إلى فارسي الذي يمنحني الحياة، وتزهر دروبي بوجوده..

زوجي العزيز صقر

إلى من كنّ مرفأ سلامي، وملاذي الآمن الذي يحتضنني دوما..

أخواتي الغاليات.. ليال تيماء حورية وجد

إلى سندي في الحياة.. أخي الغالي إبراهيم

إلى قرة عيني، ومهجة فؤادي..ابني الحبيب محمد

الشكر والتقدير

أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى الدكتور عدوان نمر عدوان لتكرمه بالإشراف على أطروحتي، ولما أبداه من دعم وتوجيهات، فكان لي نعم المشرف والموجّه.

والشكر موصول إلى الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة الأفاضل، على تكرمهم بمناقشة الأطروحة مضيفين عليها من خبراتهم ومهاراتهم العلمية والفنية.

كما أشكر كل من ساندني ودعمني لإنجاز هذه الأطروحة.

الإقرار

أنا الموقعة أدناه، مقدمة الرسالة تحمل العنوان:

حضور نابلس في الرواية الفلسطينية الحديثة من 2000-2014 (نماذج مختارة)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة كاملة، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أي درجة علمية أو لقب علمي أو بحث لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

اسم الطالبة: دانا عبد الجبار إبراهيم محمود **Student's name:**

التوقيع: **Signature:**

التاريخ: 2018/5/23 **Date:**

فهرس المحتويات

الإهداء .....ج

الشكر والتقدير .....د

الإقرار .....هـ

فهرس المحتويات.....و

الملخص.....ح

المقدمة.....1

أسئلة الدراسة.....4

الدراسات السابقة.....5

فصول الدراسة.....7

الفصل الأول.....11

ذاكرة المكان في روايات حضور نابلس.....11

الأماكن المفتوحة.....14

الأماكن المغلقة.....34

الفصل الثاني 52

حضور الانتفاضة في روايات حضور نابلس 52

الفصل الثالث.....62

حضور العادات والتقاليد في روايات حضور نابلس 62

الفصل الرابع.....73

الشخصيات في روايات حضور نابلس 73

أنواع الشخصيات 74

الأنا والآخر في روايات حضور نابلس..... 116

الخاتمة والتوصيات 122

التوصيات..... 123

المصادر والمراجع..... 124

Abstract.....b

حضور نابلس في الرواية الفلسطينية الحديثة من 2000–2014

(نماذج مختارة)

إعداد

دانا عبد الجبار إبراهيم محمود

إشراف

د. عدوان نمر عدوان

الملخص

تتناول هذه الدراسة **حضور نابلس في الرواية الفلسطينية الحديثة من 2000_2014**، وتقف على المكان وحضوره في الروايات موضع الدراسة لتطلعنا بذلك على أهم الأمكنة فيها، وتبين مدى حضور الانتفاضة في هذه الأعمال، وأبرز العادات والتقاليد السائدة في المجتمع النابلسي، وتحلّل الدراسة أيضا الشخصيات الرئيسة والثانوية، ثم تقف على حضور الأنا والآخر في الرواية.

وتتكون الدراسة من مقدمة وأربعة فصول مذيلة بخاتمة، وقد تناولت المقدمة الحديث عن أهمية الأدب بوصفه يعكس صورة الحياة وأنماطها المختلفة، وأهمية الرواية في حياة المجتمعات، ووقفت على مدينة نابلس وأهميتها وأسباب اختيارها للدراسة.

وأما الفصل الأول فقد تناول المكان في الرواية الفلسطينية، ووقف على عدد من النصوص الروائية التي استحضرت المكان في نابلس، حيث تحدث عن الأماكن المغلقة والمفتوحة ورمزيتها ودلالتها، وتأثيرها على الشخصيات والأحداث.

وأما الفصل الثاني فتناول حضور الانتفاضة في الرواية الفلسطينية، مركزا على أهم مظاهرها ومدى ارتباطها بالمقاومة، وصورة المحتل وانتهاكاته بحق الفلسطينيين ومدنهم.

وأما الفصل الثالث فتناول عادات نابلس وتقاليدها واقفا بذلك على أهم العادات والتقاليد السائدة في المجتمع النابلسي.

وقد تناول الفصل الرابع أهم الشخصيات النابلسية الرئيسة والثانوية، مبرزا أبعادها المادية والنفسية والاجتماعية والفكرية. كما تناول صورة الأنا الفلسطيني والآخر (التركي والأجنبي والإسرائيلي)، ثم انتهت الدراسة بالخاتمة التي وضحت أهم النتائج التي خلص إليها البحث.

ومن أبرز هذه النتائج: تنوع الأمكنة الروائية وتوزعها بطريقة مختلفة مع التركيز على مدينة نابلس وبلدتها القديمة، كما حضرت الانتفاضة في الدراسة وتعددت مظاهرها، وصورت الدراسة أهم العادات والتقاليد السائدة في المجتمع النابلسي، كما تعددت الشخصيات النابلسية في الدراسة وشملت شرائح مختلفة من فئات المجتمع النابلسي، وبرز كذلك حضور الأنا والآخر في الروايات موضع الدراسة.

المقدمة

مما لا شك فيه أن الأدب صورة الحياة، ويعكس أنماطها المختلفة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية، ولمّا كان الإنسان يمثل كل هذه الأنماط وتتجسد فيه، كان للرواية دور كبير في تجسيد هذه الحياة بمشاربها كافة، إذ نجد السارد في الرواية يستعرض الشخوص التي يمكن أن تكون صورة للواقع من خلال رسم الشخصيات التي تعكس تلك الأنماط.

والرواية حياة على الورق، وإذا راقبنا شخوصها وعكسناها على واقع الأشخاص فإن الإبداع الروائي يتجلى وهو يسرد الأحداث التاريخية بلون درامي غاية في الروعة، وبالتالي يجعل القارئ يعيش أحداث الرواية وكأنه يشاهد المكان بتلوناته الحياتية، ويتماهى مع النص وصولا إلى ربط المكتوب بالواقع المعيش وبناء صورة واقعية على الأحداث التاريخية.

وعندما نطالع الأدب الروائي الفلسطيني فإننا نجد المدينة حاضرة في أعمال الروائيين، وعند التّعمق في محتواها وعلاقة المكان بالزمان وشخوصه سنجد أن هذه العلاقة علاقة وطيدة، وتسير مترافقة مع سير القضية أيضا وتطوراتها المختلفة، وتتمثل فيها قدرة الروائي الفلسطيني على الإحاطة بظروف مجتمعه العربي الفلسطيني وعمله التصويري والتعبيري الذي يعكس ارتباط هذا الإنسان بقضيته ارتباطا روحيا ووجدانيا وتأثره بما شهده الوطن، سواء من احتلالات متعاقبة أو ثورات ونكبات وضياع وسلب الحقوق على اختلافها، وقهر طال الإنسان الفلسطيني في مجالات الحياة المتعددة الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والثقافية جمعاء.

إن هذا الفلسطيني الذي عانى الغربة والتشرد والضياع وعانى من المنافي، راح يستحضر من منفاه وطنه الذي كتب فيه شعرا ونثرا غزيرا، ومن خلاله برز كثيرون من الشعراء والأدباء وترجمت أعمالهم الخالدة إلى مختلف اللغات العالمية، واشتهرت من خلال هذه الروايات مدن القدس ونابلس وحيفا ويافا وغيرها.

ومنذ فجر التاريخ الذي ظهرت فيه حضارة الكنعانيين وبرزت فيه مدنهم، حيث ركبوا سفنهم وخاضوا عباب البحر، ونطقوا بلغتهم، وعلّموا العالم القديم أبجدية اللغة، كانت نابلس حاضرة ومتموضعة بين جبلين علت قمتاهما عما يحيط بهما.

وفي ظلال التاريخ وتطوراته ما بين غازٍ ومحتل ظلت نابلس عامرة وبارزة تستقبل أنبياء الله في رحلاتهم، وتقاوم غزاةً، وفي كل الأحوال متألقة بدورها مفعمة بحب البلاد، فهي صاحبة مملكة (شكيم) في عهد الكنعانيين، وهي مدينة المقاومة في عدة عصور، وهي بلد الصناعات من الصابون والحلوى حتى اليوم.

لقد اكتسبت نابلس غنى بوحدتها وقادتها وبفضل رجالها وموقعها، ويكفي نابلس فخرا على فخر مكانتها ورونقها على مدار التاريخ وحركة الجغرافيا، وفي هذه العلاقة والرابطة الزمكانية كانت نابلس وجبلها حافلة بعدد من رجال العلم في عهد بني عثمان، وقد ارتسمت على محياها دوما روح القياده والمبادرة والزعامة، فرجالها في القرن السادس عشر حصلوا على حكم ذاتي واستقلال داخلي شمل الاستقلال العسكري والإداري والقضائي والاقتصادي والاجتماعي[1]، وهي المدينة التي امتدت حدود سنجقها من جبال البلقاء شرقا، إلى البحر المتوسط غربا، ومن حيفا شمالا إلى حدود سنجل جنوبا[2].

تتحرك نابلس صاحبة عيون المياه والأسواق والتجارة والنضال الوطني، في فضاء الثقافة والاستقلالية النسبية التي تميز بها رجالها. ففي جبلها الأشم قاومت أولى الغزوات الاستعمارية على يد نابليون في عام 1799م، واستمرت في المقاومة النضالية إلى يومنا هذا.

لقد ظلّت المدينة علما شامخا حافلة باهتمامها العلمي، فأسست أولى مدارسها وتطورت إلى جامعة النجاح مصدر الوطنية، ومحرك شبابها الوطني والقومي ضد الاستعمار والاحتلال.

---

[1] ينظر: النمر، إحسان: **جبل نابلس والبلقاء أحوال عهد الإقطاع (وفيه البرهنة على استقلال الضفتين في هذه العهود) استقلالا داخليا شاملا**، ط1، نابلس: مطبعة النصر التجارية، 1961، ص520_531.

[2] ينظر: السابق، ص533.

وتظل مركزيتها ودورها المحسودة عليه في عهد آخر استعمار احتلالي في العالم، ورغم ذلك ظلت نابلس بما امتلكته من حضور في التاريخ والجغرافيا تحافظ على شعلتها الثقافية والفكرية.

ولا شك أن المرأة النابلسية كانت صاحبة نضالات عريقة منذ أن ثار شعبنا ضد الاحتلال البريطاني، فهي حاضرة في ثورة البراق، وثورة 1933م، وهي صاحبة الأفكار الخلاقة والمبدعة حيث أنشأت الاتحاد النسائي بجمعيته ومشفاه منذ ثلاثينيات القرن الماضي.

وفي سياق الالتحام بين غنى التاريخ وحضور الجغرافيا تمثلت المدينة بمواطنيها المتسامحين الذين يتعايش بعضهم مع بعض بكل أنواع السّلام والمحبة، فهي الوحيدة في العالم التي تعيش فيها طائفة السامريين، ويتناغم الجميع بتعايش ومحبة بين مسلم ومسيحي وسامري. هذا البلد كان خير ممثل لصورة الوحدة والتنوع والتسامح والتعايش الديني والثقافي على مرّ التاريخ.

ويرجع سبب اختيار الباحثة للكتابة في موضوع "حضور نابلس في الرواية الفلسطينية الحديثة 2000_2014"، لحبها الشديد للمدينة التي ولدت فيها وانتمت إليها، وعاشت فيها؛ إذ إنها ترغب في إبراز حضور نابلس في الرواية الفلسطينية كونها مدينة فلسطينية عريقة بقدمها وتاريخها وأصالتها، وما طرأ عليها من تحولات بعد انتفاضة الأقصى الثانية، وثمة سبب آخر يتمثّل في أن الموضوع لم ينل حظه من الدراسات الوافية الشاملة، فلم أقف –على حد علمي– على رسالة واحدة أو دراسة تتحدث عن هذا الموضوع بهذه الخصوصية والشمولية, فأردت أن أبرز صورتها في الرواية الفلسطينية الحديثة علّني أوفيها حقها.

تستعرض الباحثة عددا من الروايات الفلسطينية تقف من خلالها على واقع المدينة وما طرأ عليها عبر السنوات من تغيرات سياسية، ومكانية، واجتماعية، وفكرية، كما ترصد لنا فضاء المكان (المدينة) كما صورته الروايات، ومدى حضور الانتفاضة، كما تعرض الدراسة الفضاء الاجتماعي والثقافي للمدينة وذلك من خلال الحديث عن عادات نابلس وتقاليدها في الرواية الفلسطينية الحديثة، إضافة للمرأة ونظرة المجتمع لها، وتعرض الدراسة كذلك لفضاء الشخصيات في الروايات

موضـع الدّراسـة، رغبـة مـن الباحثـة فـي إبـراز مـدى حضـور مدينـة نـابلس فـي الروايـة الفلسـطينية الحديثة، ومدى تناسب ما طرحته الروايات مع قيمة مدينة نابلس وأهميتها.

ومن الصعوبات التي واجهت الباحثة عدم وجود دراسات أو رسائل تحدثت عن حضور مدينة نابلس بعمق، كما تهدف الدراسة إلى الوقوف على واقع المدينة، وما طرأ عليها من تحولات خلال فترة الانتفاضة الثانية وما تلاها.

أسئلة الدراسة

إن الوقوف عند هذا الموضوع يطرح عددا من التساؤلات التي تناولتها الرواية الفلسطينية حول نابلس منها:

- كيف بدت صورة المكان في الروايات موضع الدراسة؟

- ما مدى حضور الانتفاضة في الروايات موضع الدراسة؟

- كيف صورت الرواية الفلسطينية الحديثة عادات نابلس وتقاليدها؟

- ما الشخصيات التي برزت في روايات حضور نابلس؟ وإلى أي مدى وصل استلهام الشخصيات الراوئية من شخصيات حقيقية؟

-ما مدى حضور الأنا والآخر في روايات حضور نابلس؟

الدراسات السابقة

لا شك أنه ما من دراسة حديثة تأتي من العدم، أو الفراغ، إذ لا بد من توافر عنصر الأثر والتأثير من دراسات سابقة يفاد منها في أي دراسة تخرج للعلن، وهذه الدراسات كغيرها تأتي امتدادا لدراسات أخرى سبقتها وإن اختلفت عناوينها، أو مواضيعها إلا أن فيها ما كان مشابها لما تتضمنه جنبات هذه الدراسة، ومن الدراسات ذات الصلة بالموضوع:

- دراسة جميلة عماد النتشة[1] بعنوان: **المكان في روايات سحر خليفة** وقد قسمت الرسالة إلى ثلاثة فصول، فتناولت في الفصل الأول الحديث عن ظواهر المكان في روايات الكاتبة، وقسمت الفصل لمحورين: المكان المفتوح والمغلق، ثم تحدثت في الفصل الثاني عن أبعاد المكان السياسية والاجتماعية والنفسية والتاريخية والجمالية والدينية. وأما الفصل الثالث فتحدث عن المكان وبنية الرواية.

_ دراسة نزار وصفي اللبدي[2] بعنوان: **الحياة الأدبية والثقافية في نابلس وما حولها في العصر العباسي**, وقد تناولت الدراسة الحركة الأدبية والثقافية في المنطقة في العصر المذكور، ومدى تأثرها بالتطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية خلال فترة الحكم العباسي، والتعريف بأعلام الأدب والثقافة وبيان إسهاماتهم في المجلات المختلفة ثم تتبع آثارهم: المطبوعة منها والمخطوطة.

_ دراسة أحمد إبراهيم ناصر[3] بعنوان: **القرية والمدينة في الرواية الفلسطينية المعاصرة (أحمد رفيق عوض نموذجا)**، وقد عالجت الدراسة ثنائية القرية والمدينة في الرواية الفلسطينية المعاصرة من خلال أعمال أحمد رفيق عوض، كما وترصد أهمية المكان وحضوره في النص الروائي من حيث دلالاته وحمولاته المعرفية والوجدانية، وعلاقة المكان بنفسه وتاريخه وساكنه أولا،

---

[1] النتشة، جميلة: **المكان في روايات سحر خليفة**، جامعة الخليل، رسالة ماجستير،2012.

[2] اللبدي، نزار: **الحياة الأدبية والثقافية في نابلس وما حولها في العصر العباسي، الجامعة الأردنية**، رسالة ماجستير، 1987.

[3] ناصر، أحمد: **القرية والمدينة في الرواية الفلسطينية المعاصرة(أحمد رفيق عوض نموذجا)**، جامعة بيرزيت، رسالة ماجستير، 2006.

ومن حيث جغرافيته، عبر وصف المكان الفلسطيني باسمه الواقعي والحقيقي، وتصويره للأمكنة في الريف والمدينة ثانيا، ويعرض الفصل الأخير تقنيات السرد، ونوعية السارد وحضوره في روايات الكاتب بصفة عامة.

_ دراسة زكي العيلة[1] بعنوان: **فضاءات المكان والزمان في الرواية الفلسطينية**، يقف الكاتب على أثر كل من الزمان والمكان في بناء الشخصية النسوية وعلاقة كل طرف بالآخر فنيا في الرواية الفلسطينية.

- دراسة عبد الرحمن بسيسو[2] بعنوان: **بنية المكان في الرواية الكنفانية**، يتناول عبد الرحمن بسيسو نصوص غسان كنفاني الروائية بالدراسة، ويتوصل إلى وجود ستة مصطلحات مفهومية تنهض عليها الرواية الكنفانية المتمثلة بالوطن، الهوية، المنفى، الوعي القائم، الوعي الممكن، الرؤية للعالم.
- دراسة سعيد الفيومي [3]بعنوان: **تجليات القدس في الرواية الفلسطينية**، تتناول هذه الدراسة رواية الكاتبة الفلسطينية (سحر خليفة) صورة وأيقونة وعهد قديم بالتحليل والدراسة، وتركز على تجليات القدس كحالة تاريخية داخل النص الروائي.

وبناء على ما سبق، فإن هذه الرسالة تكون الأولى من نوعها التي تقف على حضور نابلس في الرواية الفلسطينية الحديثة من 2000–2014 وتحللها تحليلا شاملا في جميع الجوانب التي تناولتها، لتقدم للقارئ – قدر الإمكان– وصفا دقيقا لمدينة نابلس في الروايات موضع الدراسة، وتبرز الأماكن الموجودة فيها، ومدى تأثير الانتفاضة على الحياة الطبيعية فيها، وتطلعنا على عاداتها وتقاليدها، وشخصياتها البارزة، ومدى حضور الأنا والآخر فيها.

---

[1] العيلة، زكي: **فضاءات المكان والزمان في الرواية الفلسطينية**، مؤسسة القدس للثقافة والتراث، 2011/9/6.
http://alqudslana.com/index.php?action=article&id=2118

[2] بسيسو، عبد الرحمن: **بنية المكان في الرواية الكنفانية**، مجلة الجديد، 2015/7/1.
https://www.aljadeedmagazine.com

[3] الفيومي، سعيد: **تجليات القدس في الرواية الفلسطينية**، مؤسسة القدس للثقافة والتراث، 2011/4/2.
http://www.alqudslana.org/index.php?action=article&id=1127

وأما من حيث منهجية البحث، فإن الدراسة تتبع المنهج الوصفي التحليلي؛ كونه الأنسب لدراسة هذا الموضوع، وما تتطلبه تقسيمات الدراسة.

فصول الدراسة

مقدمة

وتعرض أسباب اختيار الموضوع، وأهميته، والصعوبات التي واجهتها فيه، ومنهج الدراسة، وأهم المصادر والمراجع التي تناولت موضوع الدراسة، ووصف خطة البحث.

الفصل الأول: ذاكرة المكان في روايات حضور نابلس

تناولت الدراسة في الفصل الأول ذاكرة نابلس المكان "**وفق رؤية جديدة تنقل المكان من نطاقه الجغرافي المحدود المجرد، ومن صورته الجامدة إلى صورة حيّة تصل بوجدان الروائي وروحه**"[1]، وقد تم الوقوف على مجموعة من النصوص الروائية التي تستحضر الأماكن في نابلس كالبلدة القديمة، الأحياء، الشوارع، المباني الحديثة (العمارات)، الحارات وأسمائها، المساجد، الحمّامات التّركية، الصبّانات، محالها التّجارية، المقاهي المنتشرة في أحيائها، والمستوطنات التي تحيط بالمدينة.

الفصل الثاني: حضور الانتفاضة في روايات حضور نابلس

وفي الفصل الثاني تقف الدراسة على عدد من الروايات التي تناولت موضوعات عدة في: رواية "لغة الماء"، ورواية "ذاكرة زيتونة"، ورواية " ربيع حار"، ورواية "حجارة الألم"، وغيرها من الروايات الأخرى. "**وكان للانتفاضة أثر عميق في توجيه حياة المجتمع الفلسطيني، وانعكست فعالياتها على الأنشطة كلها**"[2].

---

[1] ينظر: لداودة، رضا: **رواية القدس في الشعر الفلسطيني المعاصر (1967_2004)**، رسالة ماجستير، جامعة بير زيت، 2005، ص53.

[2] جبر، يحيى، حمد، عبير: حضور المأثورات الشعبية في أعمال سحر خليفة، دراسة، 2009/2/9. http://blogs.najah.edu/staff/yahya-jaber/article/article-71

الفصل الثالث: عادات نابلس وتقاليدها في روايات حضور نابلس

"تحتل العادات والتقاليد في الأعمال الأدبية موضع القلادة من جيد الفتاة، فهي تظهر فيها بصور شتى تتفاوت في وضوحها والدّور المنوط بها"[1]، أما بالنسبة لهذا المبحث فإنه يدرس العادات والتقاليد في نابلس، وترصد الدّراسة صورة الحياة الاجتماعية في نابلس، والعادات السائدة في المجتمع كغيره من المجتمعات الأخرى التي تتميز بعاداتها الخاصة، وتُظهرُ الدراسة صورة اجتماعية تظهر في نابلس كاعتراض المجتمع على خروج المرأة إلى العمل، وقد وردت هذه الصورة تحديدا في رواية " لغة الماء": **"مجتمع لا يكتفي بعقد حاجبيه لخروج المرأة إلى العمل....إلخ"**[2]. وهنا تظهر نظرة المجتمع إلى المرأة وموقفه منها، كما تعرض الدّراسة للباس الشعبي في بعض الروايات موضع الدراسة كالقنابيز والطرابيش والعمم ومن خلالها كان يُعرف المستوى المادي لأصحابها، وتبرز صورة تعاضد أبناء المدينة والبلدة القديمة وتكاتفهم لمقاومة المحتل حيث كانت نسوة الحارات يحضّرن الطّعام من خيرات البيت ومما تيسر من الطّعام لتقديمه للمناضلين، وكانت بعض البيوت تقوم بإخفاء المقاومين وتوفير الحماية لهم، ويعرض الفصل كذلك المناسبات الاجتماعية والطقوس التي تطرحها الروايات موضع الدراسة.

الفصل الرابع: الشخصيات في روايات حضور نابلس

تشكل الشخصية عنصرا أساسيا من عناصر العمل الروائي، فهي **"تسهم في صنع الحدث وتؤثر فيه وتتأثر به بما يؤدي إلى إعادة صياغة جدلية الحياة"**[3]، وقد تناولت الدراسة في الفصل الثالث شخصية الفلسطيني وتحديدا النابلسي كما عرضتها الروايات، حيث عرضت أهم الشخصيات الرئيسة والثانوية في كل رواية والنموذج الذي مثلته كل شخصية كشخصية الرجل المناضل، والمطارد (المطلوب)، والشهيد، والسجين، ورجل السلطة والمال والنفوذ، والعميل، وغيرها من الشخصيات المذكّرة، وكيف تناول الكتّاب هذه الشخصيات، ثم تناولت شخصية المرأة كما وردت

---

[1] جبر، يحيى، حمد، عبير: **حضور المأثورات الشّعبية في روايات سحر خليفة.**

[2] خلف، عفاف: **لغة الماء**، ص10.

[3] أيوب، محمد: **الشخصية في الرواية الفلسطينية المعاصرة في الضفة الغربية وقطاع غزة 1967-1993**، جامعة النجاح الوطنية، رسالة ماجستير، 1996، ص38.

في الروايات، فكان هناك المرأة الواثقة، والضحية (العاجزة)، والأم، والمناضلة، والعاملة، إلى غير ذلك، واستعرضت شخصية الجدة كما تناولتها الروايات. كما تناول الفصل الحديث عن الأنا الفلسطيني والآخر (التركي والأجنبي والإسرائيلي).

الفصل الأول

ذاكرة المكان في روايات حضور نابلس

الفصل الأول

ذاكرة المكان في روايات حضور نابلس

لطالما شغل المكان في الأعمال الأدبية مكانة مهمة سواء من الكتّاب من جهة أو النقاد والمتلقين من جهة أخرى، لذا فقد اكتسب المكان في الرواية أهمية كبيرة؛ كونه أيضا يتحول في بعض الأعمال الروائية إلى فضاء يحتوي كل العناصر الروائية، بما فيها من حوادث وشخصيات، وما بينها من علاقات، ويمنحها المناخ الذي تتفاعل فيه، وفرصة التعبير عن وجهة نظرها.

فالمكان الروائي يختلف عن الأمكنة الحقيقية المدركة بالسمع والبصر، ويعدّ المكان "**صورة أولية ترجع إلى قوة الحساسية الظاهرة التي تشمل حواسنا الخمس**"[1]؛ لذا فالمكان لا ينفصل عن وجود الإنسان فيه، فوجوده يؤدي إلى تقوية العلاقة بينهما، "**حتى أصبح المكان واحدا من القضايا التي يخترقها الإنسان بالبحث بغية التعمق في هذا المحسوس وتمام إدراكه**"[2].

وقد اهتم دارسو الرواية بعنصر المكان وأولوه عناية خاصة، وفضلوا مصطلح الفضاء الروائي على المكان الروائي؛ كونه أوسع وأكثر شمولية، فالمكان الروائي مكان بعينه تجري فيه أحداث الرواية، بينما يشير الفضاء الروائي إلى المسرح الروائي بأكمله، ويكون المكان داخله جزءا منه[3].

وبالتالي يمكن النظر إلى المكان الروائي على أنه شبكة تنطلق منها باقي العلاقات التي تجمع عناصر الرواية المختلفة بعضها بعضا، فيصبح المكان عنصرا أساسيا من عناصر الرواية لا يمكن للعمل الروائي أن يقوم من دونه.

---

[1] كرم، يوسف: **تاريخ الفلسفة الحديثة**، ط5، القاهرة: دار المعارف، 1986، ص222.

[2] الضبع، مصطفى: **استراتيجية المكان**، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، 1998، ص60.

[3] ينظر: لحمداني، حميد: **بنية النص السردي**، ط1، بيروت: المركز الثقافي، 1991، ص62.

[3] ينظر: الضبع، مصطفى: **استراتيجية المكان**، ص76-77.

إضافة لذلك، فإن ثمة علاقة تأثير وتأثر بين المكان والشخصيات في الرواية، إذ يعد المكان عنصرا رئيسا في تكوين بنية هذه الشخصيات، فلا غرابة في كون المكان "**قطعة شعورية وحسية من ذات الشخصية نفسها**"[1].لهذا نلحظ أن الروائي يعمد عند بناء المكان في روايته إلى جعله منسجما مع طبائع الشخصيات ومزاجها.

ومما تقدم يتضح لنا أن المكان يمكن أن يكون المرآة التي تعكس أحاسيس الشخصية في الرواية، بل ويمكنه القيام بدور الشخصية نفسها، "**باعتباره تصويرا لغويا يشكل معادلا حسيا ومعنويا للمجال الشعوري والذهني للشخصية**"[2]. كما يمكن للمكان أن يعكس مدى انتماء الشخصيات الروائية له، فنلحظ مدى تعلق الشخصية الروائية بالمكان أو مدى بغضها أو سخطها عليه.

والمكان في مدينة نابلس ليس مجردا من الأحداث وعلاقتها بالشخصيات التي تبوأت مكانا مهمّا في الروايات، فيبدو المكان متفاعلا مع بقية العناصر غير منفصل عنها، فيغدو مؤثرا ومتأثرا بها، ويرى (غاستون باشلار) في كتابه جماليات المكان "**أن العمل الأدبي حين يفتقد المكانية، فهو يفتقد خصوصيته وبالتالي أصالته**"[3].

واختلفت الروايات – موضع الدراسة– في طريقة عرضها للمكان من خلال شخصياتها المتعددة والمختلفة, فالمكان يبقى باسمه حيا لا يموت مع تقادم الزمن، لكّن الأحداث التي يعيشها تختلف باختلاف الزمن والأشخاص والتاريخ، فمثلا احتفظت مدينة نابلس القديمة بأسمائها وأسماء حاراتها وأزقتها وعراقة مبانيها الأثرية.

وفي هذه الدراسة تتنوع الأمكنة الروائية وتتعدد في الروايات موضع الدراسة، وتتوزع بطريقة مختلفة تبعا لموضوع الرواية، لكن المكان الأبرز والأهم في الدراسة، هو مدينة نابلس وبلدتها

---

[1] عثمان، بدري: **بناء الشخصية االرئيسة في روايات نجيب محفوظ**، ط1، بيروت: دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، 1986، ص95.

[2] السابق، ص132.

[3] باشلار، غاستون: **جماليات المكان**، ترجمة غالب هلسا، ط3، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1987، ص5_6.

القديمة التي حضرت بشكل واسع في الروايات, فكان لابد من تسليط الضوء على ما جرى لهذه المدينة وأمكنتها وما طرأ عليها من تغيرات، وإن كانت نابلس وبلدتها المكان الأبرز والأهم في الدراسة، إلا أن الأماكن الأخرى لم تكن هامشية، فقد كان لها التأثير البالغ في سلوك الشخصيات ونفسياتها؛ حيث ترك كل مكان بصمته الخاصة واتخذ دلالته الذاتية، وهذا ما سيتضح من خلال الحديث عن الأماكن الأكثر بروزا في الروايات موضع الدراسة، ونجد الأمكنة تتنوع في كل رواية بين أمكنة مفتوحة وأمكنة مغلقة.

ويمكن تصنيف المكان الروائي إلى نوعين:

أ. المكان المفتوح

وهو المكان اللامتناهي الذي يتكون من عدة أقسام: فقد يكون مكانا ذا مساحة شاسعة وغير محددة ولا يخضع لسطوة أحد، كالصحاري والغابات والبحار والمحيطات والأنهار والقارات والأوطان، أو يكون المكان ذا مساحة متوسطة كالحي السكني، أو ذا مساحة صغيرة كالسفينة والطائرة، وارتبط المكان المفتوح عادة بالحرية، للدلالة على حرية الحركة دون وجود حواجز خارجية تحدها[1].

ب. المكان المغلق

وهو المكان المحدود الذي تحدده الحدود والحواجز والإشارات، "**ويخضع للقياس ويدرك بالحواس مما يعزل صاحبه عن العالم الخارجي**"[2]، كالغرف والبيوت والمقاهي وغيرها من الأماكن المغلقة التي يكون المكوث فيها اختيارا، وتكون رمزا للحميمية والألفة والأمن، أو تكشف عن العزلة

[1] ينظر: عبد الله محمد، مرين، ومحمد، تحريشي: **حداثة مفهوم المكان في الرواية العربية رواية " وراء السراب قليلا" لإبراهيم درغوثي أنموذجا**، مجلة الدراسات: جامعة طاهري محمد بشار، جوان 2016، ص149.

[2] السابق، ص150.

والخوف والرهبة، كالسجون التي يكون المكوث فيها إجباريا مؤقتا، وهذه الأماكن يربطها بالشخصيات علاقات متنوعة تفرضها طبيعة المكان والشخصية والحدث الواصل بينهما[1].

الأماكن المفتوحة

وجدير بالذكر أنّ الأماكن المفتوحة في الروايات موضع الدراسة قد تعددت، وتمثلت بالآتية:

المدينة: هي تجمعات سكانية كبيرة وغير متجانسة، تعيش على قطعة أرض محددة نسبيا مهما اتسعت[2]، تجمعهم علاقات تسيار لحياتهم على الصعيد العام والخاص مع اختلافات واضحة بين مدينة وأخرى فيما يتعلق بعدد السكان أو مساحة المدينة، أو أهميتها التاريخية والحضارية والصناعية[3]، ومفهوم المدينة يتمحور حول كونها طرازا متميزا للحياة الاجتماعية الإنسانية[4]، إذ يمارس سكانها نشاطهم الاقتصادي والسياسي والثقافي بحرية تامة.

وللمدينة الفلسطينية في الرواية حضور متميز، سواء أكان حضورها مباشرا تأتي إطارا مكانيا لأحداثها الروائية أم كان حضورها غير مباشر، تأتي عبر ذاكرة الشخصيات الروائية[5]. والمدن الفلسطينية في الرواية تأخذ صورة الوطن كله، فهي رمز الوطن المحتل الذي قاسى كثيرا من الاحتلال مثلما عانى الفلسطينيون من ذل التهجير وقسوة البعد في المنفى.

نابلس: شكلت نابلس مكانا رئيسا في الرواية، فهي المكان المفتوح الذي تمحورت حوله معظم الأحداث، وضمت كل أماكن الرواية المفتوحة والمغلقة كونها الفضاء الأكبر الذي جمع كل هذه الأماكن، وصهرها ليقدم لنا صورة واضحة عن مدينة نابلس في تلك الفترة، وما مرّ على

---

[1] ينظر: عبيدي، مهدي: **جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة**، دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، 2011، ص43.

[2] ينظر: رشوان، حسين: **المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري**، الاسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 2005، ص44.

[3] ينظر: غنيم، محمد أحمد: **المدينة، دراسة في الانثروبولوجيا الحضرية**، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1987، ص113.

[4] ينظر: خليفة، إبراهيم: **علم الاجتماع والمدينة**، الاسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1983، ص5.

[5] ينظر: أحمد، حفيظة: **بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية 1950– 2000**، ط1، رام الله: منشورات مركز أوغاريت الثقافي، 2007، ص170.

أرضها من ويلات وحروب، فهي ملأت قلوب ساكنيها عشقا حتى رُؤوا من حبها، فإذا ما ابتعدوا عنها أصابهم الضيق والقلق، فهذا حافظ في رواية **نابلس الجمر والرماد** يتذكر مدينته الحبيبة وهو في الغربة، فتقفز نابلس مجددا إلى ذاكرته، فبعد مرور عام ونصف من الترحال والعسكرة، اجتاحه حنين جارف إليها، أحبها بكل ما فيها، وعند إقامته في دمشق ذكرته بكل مظاهر نابلس، وهو الذي زارها لأول مرة، وطال مكوثه فيها حيث لفت انتباهه التشابه الكبير بين دمشق ونابلس، فعبر عن هذا التشابه قائلا: "**فكأنها التطابق كأنها التوأمة**"[1]، وعدد لنا أوجه التطابق بينهما "**سوق الحميدية صورة أكبر لخان التجار، المرجة تحمل ملامح باب الساحة، حي الميدان نقله إلى أجواء الحبلة، الصالحية كأنها الشويترة، الربوة ذكرته ببساتين وادي الباذان وباب توما بالبوابة الشرقية**"[2].

دمشق الأقرب إلى قلب حافظ في غربته، طوت مسافات البعد، واختصرت الزمن، وقد طالعته نابلس بكل ما فيها: "**كانت المدينة بالنسبة لحافظ تشكل الوطن البديل، أصبح الوطن البديل يشكل عبئا إضافيا، يوقظ الحنين وينفث فيه نار الشوق**"[3]. كما عبر سارد الرواية نفسها عن التطابق بينهما قائلا: "**نابلس والشام لوحتان متشابهتان، مرسومتان بنفس الألوان الأبيض والأسود والأحمر والليلكي والأخضر**"[4]، وبذلك يكون الكاتب قد مزج بين نابلس ودمشق وكأنهما مكان واحد.

وفي موضع آخر يرى حافظ في نابلس المدينة التي تجمع كل المتناقضات التي أحبها ويتذكرها في غربته قائلا: "**هي المدينة الصغيرة الكبيرة..المنغلقة المنفتحة..الفاضلة الوادعة..بلد الدين والتزمت وبلد الفكاهة والتحرر..بلد التعاطف مع المصائب..والتندر بالمقالب.. وهي واد عريض وجبلان شاهقان**"[5].

أطلعتنا **نابلس الجمر والرماد** على وضع نابلس في الحرب في عهد الانتداب البريطاني، فبعد انسحاب الأتراك اقترب الإنجليز من نابلس، وداهموا محلاتها وبيوتها وبساتينها وتلالها

---

[1] أبو غضيب، هاني: **نابلس الجمر والرماد**، ط1، نابلس، 2007، ص38.

[2] السابق، ص38.

[3] السابق، ص39.

[4] السابق، ص39.

[5] السابق، ص85.

المحيطة، وحاراتها وأسواقها. ولاحقوا الأتراك في كل مكان، وقد حاولوا تغيير صورتهم في أذهان الناس فعبّدوا الطرق وأصلحوها، واهتموا بالتعليم، ومع ذلك زاد قلق الناس، خافوا من مصيرهم المجهول، تحديدا بعد توغل الإنجليز بين الناس، وانتقائهم الفئة الانتهازية المنتفعة على حساب الوطن والآخرين[1].

وقد عرضت الرواية صورة نابلس وموقف الناس من دخول الإنجليز إليها "**ارتدت نابلس رداءها الأسود بعد استلام الإنجليز الذين حاولوا الحصول على التأييد، وتغيير صفي العشرين من أيلول 1918..وكان يوم وقفة عرفة، والوقت عصرا..سمع الناس صوت المدفع، وهو يفترض أن يطلق سبع قذائف إيذانا بالعيد..حين استمر إطلاق المدافع..ذهل الناس..تطلع بعضهم إلى بعض..عقدت الدهشة ألسنتهم..تساءلوا بصمت..إلى أن تجول رئيس البلدية في الأسواق، وأبلغهم أن المدافع تطلق وتعلن أن الإنكليز على وشك دخول نابلس. ألجمهم الخبر..رغم يقينهم من النتيجة، بعد أن سقطت القدس وغزة والخليل والساحل والمرج والمثلث والقرى المجاورة لنابلس..ران السكون على المدينة..خلت الشوارع والأحياء..التزم الناس بيوتهم، اعتورهم الهم والغم..الطوفان يدهمهم، والزلزال يزلزل أركانهم..**"[2].

وتبرز رواية **الفئران** مدينة نابلس الفلسطينية الواقعة تحت الاحتلال، مكانا روائيا تدور فيه الأحداث الروائية، فقد تعرضت في الانتفاضة الثانية للاجتياح، وعاشت واقعا مريرا كان له كبير الأثر في تغيير معالم المدينة، واختار لها الكاتب اسم مدينة العالية وهو اسم وهمي ليس له وجود على خارطة الوطن، ليخبرنا أن ما ينطبق على مدينة العالية ينطبق على كل مدن فلسطين في ظل الاحتلال[3]، وهي مكان مفتوح يمثل في الرواية بؤرة صراع واشتعال، في مكان دائم للاشتباك والمواجهة بين المواطنين وشباب المقاومة من جهة، وقوات الجيش الإسرائيلي من جهة أخرى، وتحديدا بعد اجتياح قوات الاحتلال مدينة العالية، ومحاصرة بلدتها القديمة، حيث قطعت قوات

---

[1] ينظر: أبو غضيب، هاني: **نابلس الجمر والرماد**، ص190_211.

[2] السابق، ص190-191.

[3] ينظر: الحواري، رائد: رواية "الفئران" عباس دويكات، الحوار المتمدن، ع: 4592، 2014/10/3. http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=435631

الاحتلال الكهرباء عن المدينة، فسيطر الظلام على الحارات، والأزقة، والشوارع، واختبأ المقاتلون في أحواش البلدة القديمة معتقدين عدم معرفة قوات الاحتلال بها لكنها داهمتهم في حوش العنب وطالبتهم بالاستسلام.

وبعد خروج الجيش من مدينة نابلس تفاجأ الناس بما خلفه الاحتلال من دمار وتشويه للمدينة "**لعل العالية أصبحت مدينة جديدة، تشوهت فيها المعالم، هشمت الشوارع، سحقت الأرصفة، أشجار ألقيت في الطرقات وعلى جانبها، أعمدة الإنارة تتأرجح في أسلاكها، شبكات المياه تنز في الشوارع مختلطة بمياه المجاري**"[1]. بقي الجنود على مداخل المدينة يضيقون الخناق على ساكنيها أكثر فأكثر، على أهبة الاستعداد للهجوم في أي وقت.

وفي موضع آخر لقد جسدت الرواية معاناة نابلس/المدينة في ظل الاحتلال حيث تغيرت ملامحها، وأصبحت القذارة تملأ شوارعها، وصورت حال مدينة نابلس نتيجة ممارسات الاحتلال "**ليال طويلة مظلمة مرت بها العالية. رُوّع الناس في بيوتهم، الخوف من المجهول يملأ نفوسهم، اعتادوا على أن يعيشوا حياتهم يوما بيوم، أكلوا مما احتوت بيوتهم، اكتفوا بالقليل مما تتيسر، إنهم يخشون أن يطول الحصار وتطول أكثر أيام المعركة**"[2].

عرضت الرواية حقيقة مرة تم الترويج لضدها في الانتفاضة لإقناع الناس بوجود المقاومة وفاعليتها في المدينة، لكن الحقيقة كانت أشد إيلاما وقسوة، فالمقاومة لم تطلق رصاصة واحدة في وجه قوات الاحتلال، أتتهم الأوامر بالانسحاب من شارع لآخر، ومن حارة لأخرى حتى استقر بهم الأمر في حوش العنب وطوقهم الجيش واستسلموا[3]. وهذا ما عبرت عنه الرواية "**جن الناس، لم يصدقوا ما يرون. المدافعون عن المدينة يخرجون رافعي الأيدي مستسلمين. خرجوا من بعض الأحواش القديمة قدم التاريخ، خضعوا للتفتيش بصورة مهينة. دققت هوياتهم، اعتقل القليل منهم**

[1] دويكات، عباس: **الفئران**، ط1، نابلس: دار الفاروق، 2014، ص162.

[2] السابق، ص162.

[3] ينظر: السابق، ص72.

وترك الآخرون ليعودوا إلى بيوتهم. كان مشهدهم يبعث الأسى، أين البطولة؟ الفداء؟ المقاومة؟ الاستشهاد؟ عدنا في التاريخ إلى عام 1967م"[1]

وتلقي رواية **ذاكرة زيتونة** الضوء على صورة مدينة نابلس الموحشة من خلال شخصية (مها) **"عبرت السيارة شوارع نابلس الموحشة، التي بدت كأن لا حياة فيها، حتى العمارات السكنية والمحال التجارية التي تحتضن هذه الشوارع، بدت خاوية..غير مأهولة"**[2].

وتجسد الرواية مقاومة المدينة فقد تجاوز الفلسطينيون بكل فئاتهم مرحلة الخوف والجزع وانطلقوا نحو الحرية ثائرين في شوارع مدينتهم يضربون الحجارة وما توفر لهم من أسلحة خفيفة، (فخالد) أحد شخصيات الرواية يدخل حارة القريون بعد عودته من السفر فيجدها **"تعج بالشباب الذي يمتلئ حماسة وحيوية. وسرعان ما دبت في قلبه الشجاعة، وفي روحه الإقدام، وقرر المشاركة في حرس الحرية، وهو يشاهد وجوه شباب لم ينبت شعر لحاهم بعد، جنبا إلى جنب مع الرجال المتمرسين في أساليب المقاومة، والكهول الذين عايشوا النكبات، والسقطات التي رافقت أمتنا"**[3].

ورغم ما تعانيه المدينة من حصار شديد تمهيدا للاجتياح لا تتردد (سهر) بطلة الرواية في اصطحاب ضيفتها (مها) في جولة إلى البلدة القديمة، حيث تجولتا في حاراتها المسقوفة، وأزقتها الضيقة التي اكتظت بالمشاة، وأبدت (سهر) إعجابها بنمط البناء القديم فيها، فالبيوت متلاصقة ومتراصة، كما حدثتها عن نمط البناء المتبع في البلدة، فهي مكونة من عدة حارات متجاورة، انتشرت المحلات المختلفة على جانبي الطريق في كل حارة، وقد شاهدتا وهما في طريقهما سوق البصل الذي عدّ من أقدم أسواق البلدة، ومنه انطلقتا إلى حارة الياسمينة **"طافت سهر بضيفتها في أرجاء البلدة القديمة قدم الحضارات التي توالت عليها، وسارت في حاراتها المتماثلة، بشوارعها**

---

[1] دويكات، عباس: **الفئران**، ص155.

[2] عبد الهادي، سهاد: **ذاكرة زيتونة**، ط1، نابلس: دار الفاروق، 2007، ص88

[3] السابق، ص92.

الضيقة، وشاهدت المباني الضخمة للبيوت التي بنيت منذ مئات السنين، وصباناتها الشهيرة، والحمامات التركية المتناثرة في الأحياء الشعبية، ومساجدها التي شهدت تاريخا عريقا."[1]

والزائر للبلدة القديمة يلحظ التشابه بين حارات البلدة القديمة، ومنذ دخوله لها يعجب بما يشاهده من حضارة عريقة وتاريخ أصيل يمتزج مع المكونات الأخرى المحيطة بالبلدة بتناغم آسر، فيشاهد السائح فضلا عن البيوت القديمة المتراصة والشوارع الضيقة، الصبانات الشهيرة المنتشرة في البلدة، والحمامات التركية القديمة، والمساجد العريقة، ومحلات الحلويات النابلسية المشهورة، ورائحة التوابل وعبقها المنتشر في كل مكان[2].

وصورت الرواية في نهايتها حالة مدينة نابلس نتيجة الممارسات القمعية التي يقوم بها الاحتلال في الاجتياح من تدمير وهدم وهزيمة للمقاومة "**وهكذا انتصرت أقوى قوة ضاربة في الشرق الأوسط، على مقاومة البنادق الخفيفة التي استمرت ثلاثة أيام. دُكّت خلالها البيوت الأثرية الضخمة والصابانات العريقة بطائرات (أل ف 16)، وسوت القذائف الصاروخية بيوتا بالأرض**"[3].

وفي رواية **(ربيع حار)** لم تختلف صورة مدينة نابلس وبلدتها القديمة عن سابقتها فقد مثلت بؤرة صراع، لكونها مكانا دائما للمواجهات والاشتباكات بين المواطنين والجيش الإسرائيلي، والبلدة تعج دائما بالناس وأصوات باعة النعنع والبقدونس والفقوس، ورائحة الخبز المنتشرة من مخابز البلدة القديمة، وأصوات السيارات، هذه صورة المدينة الطبيعية كغيرها من مدن العالم، يمارس مواطنوها طقوسهم الخاصة وأعمالهم التي اعتادوا عليها، لكنّ الصورة اختلفت مع بداية الانتفاضة الثانية، فمدن الضفة الغربية، ومن ضمنها مدينة نابلس أصبحت مدنا معزولة ومغلقة بالكامل، فقد عاش الفلسطينيون في أقفاص معزولة ومنفصلة عن محيطها، وموورست بحقهم عقوبات شديدة فأصبحت **"كل مدينة هي جيتو ضخم محاط بجنود ودبابات"**[4].

---

[1] عبد الهادي، سهاد: **ذاكرة زيتونة**، ص95.

[2] ينظر: السابق، ص93_ص95.

[3] خليفة، سحر: **ربيع حار**، ط1، رام الله: مركز أوغاريت الثقافي للنشر والترجمة، 2004، ص99.

[4] السابق، ص133.

لقد عانى الفلسطينيون في الانتفاضة معاناة شديدة، وأصبحت المدن بما فيها نابلس موحشة وكأنها خرابة أفرغت من ساكنيها، فلا روح فيها ولا حياة، فالناس هدمت بيوتهم، وطردوا منها، وشردوا في الملاجئ والمدارس والمساجد حفاظا على حياتهم، ولم يسلم الفلاحون في القرى من غطرسة المحتل، منهم من صودرت أرضه، ومنهم من اقتلعت أشجاره، ومنهم من هدم منزله، عدا عن حملات الاعتقال والتفتيش المستمرة في القرى والمدن، فنسفت المساجد والمدارس، واعتقل الآلاف، وأصيب المئات بشظايا الاحتلال وأسلحته.

في نابلس أصبحت صورة الدمار والخراب جليّة واضحة، وهذا ما عبرت عنه **(ربيع حار)**" **أصبحت صورة الدّمار والخراب واضحة، الدوار أصبح مهشم، خلعوا البركة، كسروا النخيل، مشوا على الإنجيل بالدبابات، ماظل رصيف، ما ظل دوار، ما ظل أضواء وكهارب**"[1]. وبذلك ترك الاحتلال بممارساته آثارا وحشية في المباني وحياة الناس.

تسجل رواية **(ربيع حار)** صورة التعاون الاجتماعي في مواجهة القمع والاجتياح، لا سيما في الأحياء والحواري الشعبية، فنساء البلدة قمن بتوفير الطعام لشباب المقاومة كمطبخ (سعاد) الذي مد المقاتلين بالطعام حتى اليوم الرابع من الاجتياح، وساعدتها النساء في توزيعه، واستطاع إطعام عدد من أحواش البلدة، كحوش العطعوط، وحوش الفقراء، وحوش الثورة، وهذا دليل على تكاتف الناس وتعاضدهم في هذه الأوضاع السيئة. كما أسس شباب المقاومة مستشفيات ميدانية في المدارس، وثبتوا المتاريس الرملية على مداخل المدينة، ووزعوا المناظير على المآذن وأسطح البيوت. فكانت نابلس" **تغرق في الصمت والتوجس، جوع الفقراء وفقدان الشباب، والطيارات تقصف أهدافا مدنية، وعَجزِ الأهلين عن فك الحصار ورد الصواريخ**"[2].

لقد استطاع اليهود محاصرة البلدة واجتياح السوق، وقضوا على المقاومة فيها، ونزعوا الألغام بمساعدة العملاء، واخترقوا البيوت عن طريق حفر الجدران بأدوات خاصة وتمكنوا من الانتقال من حي إلى حي ومن بيت إلى آخر بكل سهولة، حتى وصلوا إلى حوش العطعوط وقاموا

---

[1] خليفة، سحر: **ربيع حار**، ص274

[2] السابق، ص175.

باعتقال الشباب وطالبوهم بالاستسلام. وبعدها طالبت قوات الاحتلال الناس بإخلاء البلدة القديمة؛ لأنها ستقوم بنسفها، فهرب الناس خوفا وتجمعوا في ساحة مدرسة حكومية.

وبذلك أعطت المدينة لسكانها صورة مفادها أن القتال والحرب هما مصير الفلسطيني في صراعه الأزلي مع المحتل على الأرض، وأن الحياة بالنسبة للفلسطينيين هي حرب مستمرة دون توقف، والحرية والأمان هما حالة غريبة، غير متوقعة في فكر الفلسطيني المرابط على أرضه، والمتمسك بأحقية العيش الكريم على أرضه المقدسة رغم كل ما يعانيه.

وتبرز رواية **(حياة ممكنة)** نابلس ومعاناتها في ظل الاحتلال حيث تغيرت ملامحها فليلها بدا لسكان المدينة طويلا جدا، جراء محاصرة الاحتلال لها، وسيطرته على مداخل بلدتها القديمة "**الدبابات أخذت تتوغل في مداخل البلدة القديمة. دخلت. أجل دخلت البلدة القديمة التي تعجز سيارة عادية عن الدخول إلى أزقتها الضيقة ومحالها التجارية التي تعرض بضاعتها. هدمت كل ما صادفته في طريقها:أصالة وعراقة وتاريخا.**" [1]

ورغم ما تعانيه المدينة من حصار وتحليق لطائرات الأباتشي في سمائها، ونشرها الرعب والخوف في قلوب ساكنيها، مارس سكانها طقوسهم اليومية محاولين تجاهل وجعهم، وما سيطر على حياتهم من خوف، فالأم في الرواية تعد مناقيش الزعتر والجبنة لأبنائها وترسل منها إلى شباب المقاومة.

ظل هاجس التشرد والهجرة مسيطرا على اللاجئين الفلسطينيين، فهذا عمّ نرجس يرفض ترك منزله حين أمرهم الاحتلال بالتجمع في المدارس المحيطة بالبلدة "**كان يخشى التشرد مرة أخرى. كان للتشرد في حياته طعم العلقم؟ أصبحت المعادلة لديه إما نموت تحت أنقاض بيتنا أو تخطئنا الصواريخ**"[2]؛ لذلك اكتظت البيوت في الانتفاضة بالسكان، فقد اجتمعت أكثر من عائلة في المنازل الآمنة، وأقام في بيت نرجس خمسة وعشرون شخصا، بعد سكن عمها وعائلته معهم؛ لأن بيتهم أصبح غير آمن، فيما انضم الجيران للسكن معهم أيضا، وهنا تظهر صورة التعاون

[1] عيسى، إسراء: **حياة ممكنة**، ط2، البيرة: منشورات وزارة الثقافة الإدارة العامة للآداب والنشر، 2013، ص16.

[2] السابق، ص16.

الاجتماعي بين أهل المدينة في مواجهة القمع، لا سيما في حارات البلدة القديمة إذ فتح الناس بيوتهم وقلوبهم لبعضهم في هذه الأوقات العصيبة والصعبة، تعبر نرجس عن ذلك قائلة: "**جاءت آخر مكالمة قبل ان تنقطع خطوط الهاتف من عمي الذي يسكن فوقنا.**

– أخي، اسمح لي. أريد أن ألجأ أنا وأولادي إلى بيتك، فهو أكثر أمنا من بيتنا.لقد تدمر بيت جيراننا وتدمر معه جزء من بيتنا.

– قاطعه والدي بانفعال: وماذا تنتظر؟ أريد أن اجدك هنا أنت وأسرتك فورا. لن أحتمل سماع أيّ خبر سيء"[1].

جسدت لنا رواية **(حبات السكر)** معاناة نابلس والمقيمين فيها في ظل الاجتياح فبعد رفع حظر التجوال عن المدينة لساعات محددة هرع الناس مسرعين؛ لقضاء حاجاتهم المختلفة، (سحر) إحدى شخصيات الرواية توجهت إلى المستشفى الوطني الواقع على الدوار لتحصل على الدواء لوالدها المريض كغيرها من سكان نابلس، الأمر الذي اضطرها للانتظار في صف طويل مع الناس لصرف المستحقات الدوائية.

والناظر لمعالم المدينة يلحظ الدمار والخراب في كل مكان "**ما زالت ساعة البرج صامدة في مكانها، يمكن القول إن الدمار وصل إلى كل شيء على مرمى النظر؛ الشوارع محفرة، الأرصفة مقلوبة، المنازل والمحلات التي سلمت من قنابل الدبابات لم تسلم من الرصاص**"[2].

وُضِعَ الموتى في ثلاجات أثناء الحظر، وانتظر أهاليهم دفنهم عند رفع الحظر، وعبرت الرواية عن ذلك: "**حتى الموت مؤجل في حظر التجوال، فالموتى ينتظرون في ثلاجة المستشفى حتى يرفع حظر التجوال ويسمح بدفنهم**"[3]، وهذا يعبر عن فقدان الحلم أمام واقع الاجتياح.

---

[1] عيسى، إسراء: **حياة ممكنة**، ص15.

[2] أبو الحيات، مايا: **حبات السكر**، ط1، رام الله: المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي، 2004، ص30.

[3] السابق، ص31.

وفي رواية **(لغة الماء)** بطلة الرواية (فاطمة) بدأت بسرد استعدادات البلدة القديمة وأطلعتنا منذ البداية على الأماكن المختلفة التي جرت فيها الأحداث بشكل دقيق، والمناطق التي حوصرت، فالقارىء للرواية يلحظ مدى دقة الرواية في عرضها للأماكن والحارات في البلدة القديمة.

قام شباب البلدة القديمة بوضع أكياس الرمل على مداخلها، مدخل رأس العين والمدخل الشرقي، ومدخل شارع الأنبياء، ومدخل شارع حطين، ومدخل دوار الشهداء، ومدخل السينما، وقد أغلقت إغلاقا كاملا وفخخت أماكن أخرى بالعبوات، وجهّز المستشفى الميداني في جامع البيك مع طبيب متطوع وممرضين، ونحو ثلاثين متطوعا، المواد الغذائية خزنت ووضعت في نقاط محددة، مدرسة ظافر المصري، جامع البيك، ديوان الداري، ديوان السايح، ديوان أبو عبده[1]، وصفت **(لغة الماء)** البلدة القديمة قبل الاجتياح كأنها "**على فوهة بركان، وتنتظر لسع النيران لتنفجر**"[2].

بدأت (فاطمة) السارد بوصف أحداث الاجتياح، إذ قام الاحتلال بقطع الكهرباء، وحاصر أزيزُ الرصاص، وصوت المدافع والرشاشات المدينة، وانتشرت العتمة في كلّ مكان، وفي الليل أشعل الناس في بيوتهم الشمع ليتمكنوا من الرؤية.

في اليوم الأول من الاجتياح امتلأت المدينة بالأصوات، وسيطر الرعب على المنازل المظلمة، والشوارع الفارغة من المشاة، وغرقت المدينة في الظلام، وتقدّم جيش الاحتلال من مداخل المدينة، كافة، مدخل بيت ايبا، ومنطقة الطور، والمساكن الشعبية، وشارع حوارة، وشارع القدس. وفي الرواية ذكر لمنطقة الطور، فقد ذهب (مؤيد) باتجاهها؛ لاستكشاف الوضع، وأصيب بشظايا الصاروخ الذي أطلقته قوات الاحتلال تجاههم[3].

---

[1] ينظر: خلف، عفاف: **لغة الماء**، ص6.

[2] ينظر: السابق، ص8.

[3] ينظر: السابق، ص9.

قسمت البلدة القديمة إلى قسمين: شرقي وغربي، وكل قسم ضمّ عددا من الحارات، فالقسم الشرقي ضمّ: حارات القيسارية، الجوزة، العقبة، الفقوس، شارع خالد بن الوليد، الشيخ مسلم[1]. والقسم الغربي ضمّ: " **حارة القريون، الياسمينة، سوق الحدادين، بوابة البيك حتى سوق البصل**"[2].

وقد سيطر الجيش على البنايات المطلة على البلدة القديمة، واحتجز سكانها في الشقق السفلية، هدأ الوضع في حارة الفقوس، وعاش الجميع حالة ترقب وانتظار، وقد فجرت المقاومة دبابة في مخيم عسكر، وارتفعت معنويات الشباب بسبب قتلهم جنديا إسرائيليا، وظلت الاشتباكات مستمرة في مخيم العين[3].

قطعت الكهرباء في نابلس حتى اليوم الثاني من الاجتياح، وفرض حظر التجوال على المدينة، عدد الجرحى والقتلى في ازدياد، لزم الناس بيوتهم خوفا على أرواحهم، شبهت فاطمة في الرواية قوات الاحتلال بالغربان التي لا تنعق إلا بالخراب فتكون نذيرا للشؤم والقتل والدمار، أطلعتنا (فاطمة) على وضع المدينة قائلة: "**تتناثر الأرض شظايا، يتكاثر الجرحى في الأزقة، تنمو الجثث في الطرقات، تفوح رائحة الموت، ينقضون على المدينة كغربان تنعق بالخراب**"[4]، اتخذ قناصة العدو أعلى البنايات مأمنا لهم، واستطاعوا كشف البلدة القديمة وتحركاتها بكل سهولة.

في اليوم الثاني ليلا استعادت (فاطمة) ذكرياتها الماضية، واستذكرت ما حدث معها من أحداث، عادت وتذكرت أيام الطفولة والشقاوة والسعادة، تذكرت الأماكن التي تسلّلت إليها وقضت فيها أمتع الأوقات وأجملها: "**باب الساحة، جامع النصر بساحته المبلطة ودرجاته العريضة تقابله الساعة**"[5]، كما تحدثت عن عين باب السرايا التي توجد في ساحة النصر، وغيرها من عيون المياه التي امتلأت بها نابلس والبلدة القديمة.

---

[1] ينظر: خلف، عفاف: **لغة الماء**، ص29.

[2] السابق، ص29.

[3] ينظر: السابق، ص30.

[4] السابق، ص48.

[5] السابق، ص52.

سقطت حارة الحبلة والجباليّة، بعد أن نفذت ذخيرة الشباب الضئيلة، اتخذ الجيش من مدرسة ظافر المصري مركزا له، وطوق البلدة القديمة من الجهات كافة، وسيطر على عدد من المدارس منها: مدرسة عبد المغيث الأنصاري، والمدرسة الفاطمية، ومدرسة جمال عبد الناصر[1]، تلونت سماء نابلس في أيام الاجتياح بلون الرماد، وانتشر الدخان في كل مكان[2].

استسلمت المقاومة بعد أن سيطرت عليها قوات الاحتلال، بعثت صورة البلدة القديمة بعد الاجتياح على الحزن والأسى، ذهل محمد وأصدقاؤه بعدما شاهدوا ما حل بالبلدة القديمة، نقلّوا بصرهم في شتى الأماكن " **الشوارع المبقورة أخرجت أحشاءها تتلوى، نوافذ المنازل تطبق ستائرها لتغفو على ألم الظلام، جنود عزرائيل في كل مكان، ورائحة الموت تعبق في الجو مزيجا من الدم والبارود والتراب الخانق، وكأن المدينة تحولت إلى مدينة أشباح أو مقبرة**"[3].

مدينة جبل النار حتى اليوم السابع ما زالت تقبع تحت الاجتياح، لم يتبق شيء في المدينة على ما كان عليه، الموت والخوف انتشرا في كل مكان، أقام جنود الاحتلال في المدارس، وحولوها إلى مراكز اعتقال وتحقيق مع الشباب، دمروا الشوارع، وقتلوا الإنسان وذلوه، فجّروا البيوت وحولوها أكواما من الحجارة والحصى، كل شيء تحول إلى دمار حتى قلوب ساكني المدينة عشعش فيها الخوف والرعب. صورت لنا (عريب) صديقة فاطمة ما حل بمدينتها الحبيبة على أيدي قوات الاحتلال: "**نابلس أصبحت مدينة أشباح يسكنها الدمار، ولم يتبق شوارع، فقط تراب وحجارة وسيارات سويت بالأرض**"[4].

منع التجوال والقصف ما زالا مستمرين حتى بعد استسلام المقاومة في المدينة، قصفوا صبانة كنعان، وصبانة أبو الروس بذريعة وجود مطلوبين داخلها، الكهرباء مقطوعة، والاتصالات مشلولة، والهواتف لا تعمل، المياه مقطوعة من المنازل بفعل تخريب أنابيب المياه واختلاطها

[1] ينظر: خلف، عفاف: **لغة الماء**، ص66.

[2] ينظر: السابق، ص59_ص62.

[3] السابق، ص99.

[4] السابق، ص103.

وتلوثها بمياه المجاري، عرف أهل المدينة الأخبار من المذياع أو من خلال النظر من النوافذ الضيقة رغم خطورتها[1].

وبعد أيام من الاجتياح انتشرت رائحة الموت والدمار في كل مكان وامتلأت بها الأمكنة، جثث أخرجت من تحت الأنقاض، منازل هدمت بأكملها تحت رؤوس أصحابها، محلات بكاملها دمرت وأتلفت محتوياتها، أسواق كاملة تحطمت، في اليوم الرابع والعشرين من نيسان رفع منع التجوال نهائيا، وشدّد الحصار على المدينة، واستمرت الاجتياحات طوال الليل والنهار.

حاولت نابلس استعادة أنفاسها المختنقة رويدا رويدا رغم ما شهدته من أحداث، لكن جرحها ما زال نازفا، ما زالت تبكي شهداءها، وتستعيد صورتها الماضية، وتحاول إعادة بناء ما هدمه الاحتلال من معالم تاريخية عريقة، فقد تعرضت بناياتها وبيوتها ومساجدها ومدارسها وبلدتها القديمة وحاراتها وأزقتها وأحواشها وشوارعها وصباناتها وكل ما فيها للتدمير والهدم والخراب.

عرضت رواية **(عودة الموريسكي من تنهداته)** لقضية التشابه والتوأمة بين نابلس ودمشق، وتذكر كتب التاريخ وصف بعض الرحالة العرب لنابلس بدمشق الصغرى؛ للتشابه مع دمشق بمعالمها ومناخها ومياهها وينابيعها وجبالها وفاكهتها وخضارها وحتى في لهجتها، وكثير من عاداتها وتقاليدها، وهي أكثر مدن فلسطين شبها وارتباطا بدمشق منذ فجر التاريخ، حيث كان تجارها يصدرون الصابون والمنتجات المحلية الأخرى إلى دمشق ويعودون بالأقمشة والتوابل، فأسواقها منظمة مثل أسواق مدينة نابلس، وذكرت لنا أسماء الأسواق في المدينة: سوق الذهب، التجار، الحدادين، سوق باب المنارة، وسوق البصل، اختص كل سوق ببيع بضائع معينة[2]. كما وصفت الرواية نابلس بـ"**مدينة الأدراج**" لأنها سهلت تنقلهم من مكان لآخر.

وقفت الرواية من خلال شخصية (موسى النابلسي) على أوضاع المدينة بعد اجتياحها في الانتفاضة الثانية، شباب المقاومة زرعوا الألغام حول البلدة، ودخلت الدبابات المدينة من ثلاث جهات الشرق والغرب والجنوب، وبعد أيام استطاع الاحتلال السيطرة عليها، وتمكنوا من الوصول

[1] خلف، عفاف: **لغة الماء**، ص105.

[2] عدوان، عدوان: **عودة الموريسكي من تنهداته**، ط1، رام الله: مركز أوغاريت الثقافي، 2010، ص30.

إلى وسط المدينة دون مقاومة تذكر، واقتحموا البنايات المطلة على البلدة القديمة، حتى استسلمت المقاومة أخيرا بعد أن أحكم العدو السيطرة عليها[1].

كما عرضت رواية **(عودة الموريسكي من تنهداته)** لصورة نابلس في ذهن السارد ومدى حبه وارتباطه بها: فـ "**هي لوحة تاريخية خاطها الزمان وطرزها بهدوء ويسر، والبلدة القديمة خمرة لن تستطيع تذوق نكهتها ما لم تعشق طرقاتها وتأكل كنافتها. هي لوحة تاريخية خاطها الزمان وطرزها بهدوء ويسر**"[2].

مدينة الخروب: وهي مكان مفتوح اقتصر دورها في رواية **(الفئران)** على كونها المكان الذي يجتمع فيه العملاء مع عبد الخالق أحد ضباط المخابرات الإسرائيلية، واتصفت هذه المدينة بحريتها وحداثتها، وهي مدينة جملية وهادئة، لكن هدوءها أخفى مؤامرات تعقد ضد الوطن وأبنائه، يتمتع الفرد فيها بحرية مطلقة في التعبير واللباس، فالفتيات فيها يرتدين كل ما يحلو لهن من الثياب. والعالية في الرواية ترمز إلى مدينة رام الله، حيث شكلت مكانا معاديا لكونها وكرا للعملاء ومكانا لاجتماعهم.

القرية الفلسطينية: قدم الكاتب أنور حامد في روايته **(حجارة الألم)** قريته عنبتا أنموذجا للقرية الفلسطينية الريفية المحاصرة، وهي إحدى قرى محافظة طولكرم الواقعة على طريق نابلس طولكرم، بسبب مجاورتها مستوطنة "عناب"[3] حيث طمع المستوطنون بمصادرة باقي أراضيها لضمها إلى المستوطنة، عانى سكانها من هجمات المستوطنين الذين يمنعونهم من الوصول إلى أراضيهم لقطف ثمار الزيتون، لجأ الأهالي لطلب المساعدة من مكتب حركة التضامن الدولية الواقع في حي رفيديا في مدينة نابلس، وهذه الحركة تقدّم الدعم والمساعدة للفلسطينيين، أخبرتهم حركة

---

[1] عدوان، عدوان: **عودة الموريسكي من تنهداته**، ط1، رام الله: مركز أوغاريت الثقافي ، ص111-120.

[2] عدوان، عدوان: **عودة الموريسكي من تنهداته**، ص28.

[3] مستوطنة عناب (عيناف): مستوطنة يهودية أقيمت فعليا بتاريخ 1981/11/30، وتحولت إلى مستوطنة دائمة. تقع في منطقة طولكرم على بعد حوالي 10كم جنوب شرق طولكرم على أراضي قريتي كفر اللبد وعنبتا على طريق طولكرم– نابلس. ينظر: أبو صبيح، عمران: **دليل المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي العربية المحتلة**، ط1، عمان: دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، 1993، ص86.

تدعى(غوش شالوم) أن باستطاعتهم إرسال شخصين من أصل مجري (إيفا وأندراش) لمساعدة الفلسطينيين في قطف الزيتون، واستطاعا الوصول إلى نابلس مع (نتانيا).

واستطاعت هذه القرية في الرواية أن تقدم نموذجا يمثل الكثير من القرى الفلسطينية، التي فقد فيها الفلسطيني حقه في الحياة والعيش بحرية، وتسلب منه كرامته وأبسط حقوقه، فمن خلال هذه القرية سلط أنور حامد الضوء على قضية الاستيطان[1] التي تتوغل في حياة الفلسطينيين أكثر فأكثر.

أما في رواية **(عودة الموريسكي من تنهداته)** شكل الريف الفلسطيني جزءا مهما من حياة المدينة حيث عرضت الرواية لريف مدينة نابلس وبساطة العيش فيه، فأهل القرية فلاحون مارسوا الزراعة (الفلاحة) كأي قرية فلسطينية أخرى. تؤكد القرية دائما على الدور النضالي الذي تمارسه في ساحة النضال الفلسطيني، لاستعادة الطفولة والأرض والأمان[2]، فيصمد الريف الفلسطيني ويقاوم زمن الإنجليز. فعم السارد في الرواية ويدعى (العلوني) رفض الظلم وناضل ضد الاحتلال منذ صغره، بحثت عنه القوات الإنجليزية، وألقي القبض عليه حتى تمكن من الهرب، وحارب الإنجليز في عدة مواقع، واسترد عددا من القرى والمدن الفلسطينية، وتعاون مع عدد من الفصائل الفلسطينية المناضلة[3].

وفي الرواية يأتي وصف تفصيلي للقرية الفلسطينية، يصف السارد قريته قائلا: " **أنا من هنا، من قرية ناعمة تسكن بجوار مدينة نابلس بالضفة الغربية، وقريتي هذه، بأناسها ودجاجها وحميرها، قد تنيف قليلا عن الألف شخص. جلّ أهل قريتي فلاحون كرماء، يذهبون إلى حقولهم يوميا مرتين: في الصباح، بعد أن يصلوا الفجر ويفطروا على الجبنة والزيت البلدي والزيتون، ويسرجون حميرهم وقد تبين الخيط الأسود من الأبيض، ويهبطون إلى الوادي، متنسمين الهواء**

---

[1] يعرف الاستيطان بأنه عملية إسكان واسعة في أرض محتلة،وذلك بذريعة الإعمار وإرساء سيطرة الدولة المهيمنة على الأرض التي ضمتها وباتت تعتبرها جزءا منه. وقد تكون دوافعه أيديولوجية دينية وعنصرية كما و شأن الاستيطان الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1967م. ينظر: الاستيطان، موسوعة الجزيرة. http://www.aljazeera.net/encyclopedia/conceptsandterminology/2015/12/18

[2] ينظر، أحمد، حفيظة: **بنية الخطاب في الرواية النسوية الفلسطينية**، ص166-167.

[3] ينظر: عدوان، عدوان: **عودة الموريسكي من تنهداته**، ص24_ص25.

العليل، يحرثون ويعملون ويزرعون دون كلل. وبعد العصر، يذهبون مرة أخرى لجمع ثمار الحمضيات"[1]. وفي هذا الوصف تلقي الرواية الضوء على هذه القرية الفلسطينية وكل وما يحتمله المشهد من سمات لها ولأهلها البسطاء، فقد اتسموا بالطيبة والبساطة كغيرهم من الفلاحين في القرى المجاورة، واعتمدت حياتهم على الزراعة والاهتمام بالأراضي، وامتلكت القرية نظام ري فعّال، وبنيت الأنفاق لتجميع المياه فيها ونقلها إلى الطاحونة، فكونت المياه بعد تنظيما مصدرا أساسيا اعتمدت عليه القرية في الزراعة.

أما في رواية **(الفئران)** فتظهر خربة باب الهوى، وهي إحدى القرى الفلسطينية المجاورة لمدينة نابلس، حيت تتعرض للاقتحام في الانتفاضة الثانية، وتشكل بذلك نموذجا مصغرا لباقي قرى فلسطين التي يهاجمها ويعتدي عليها الجيش. فالخربة مكان مفتوح مثّل الفكر الريفي البسيط المنغلق على نفسه، والمتدخل في شؤون الآخرين، فالناس في القرية يعرفون بعضهم بعضا ويراقبون بعضهم، ومن عادة رجالها الاجتماع في المحلات أو الساحة العامة. أما النساء فيجتمعن على أعتاب المنازل، ويتبادلن الأحاديث المختلفة. في الانتفاضة سيطرت أجواء منع التجول على الخربة ومنعت سكانها من التجوال بحرية في القرية. استخدمت رواية الفئران أسماء وهمية للقرى التي اختارتها حتى يشعر المتلقي بأن أحداث القرية حدثت في منطقته[2].

حوش العطعوط: أحد أحواش البلدة القديمة في نابلس، مكان مفتوح شكل نقطة ارتكاز في رواية **(ربيع حار)**، وقد برز دور هذا الحوش جليا وواضحا، فهو حوش متفرد جمع في زواياه العديد من المتناقضات[3]؛ ولذلك أعطته الرواية مسميات عدة فهو**"حوش الثورة، حوش العتمة والفضاء والضوء، يضوي على كل المحرومين."**[4]. تحول حوش العطعوط بمساعدة (أم سعاد) ونساء البلدة القديمة إلى مطعم يأوي الفقراء والمحتاجين والمنكوبين وشباب المقاومة، فامتلك الحوش بذلك أهمية خاصة لما قدمه للسكان من معونات.

---

[1] عدوان، عدوان: **عودة الموريسكي من تنهداته**، ص18.

[2] ينظر: دويكات، عباس: **الفئران**، ص30-31.

[3] ينظر: الخليلي، علي: **مع رواية "ربيع حار" للروائية سحر خليفة تحولات " أم سعاد" في مواجهة الخوف والحصار**، 2007/4/5.

[4] خليفة، سحر: **ربيع حار**، ص142.

الطرق: من الأماكن المفتوحة في الرواية، لكنها شكلت للفلسطيني في ظل الانتفاضة عبئا إضافيا عليه تحمل مشاقه، إذ أصبحت الطرق الواصلة بين المدن والقرى الفلسطينية صعبة وضيقة وطويلة وشاقة، يمضي الفلسطيني فيها وقتا أطول من المعتاد، فهذه (مها) في رواية **ذاكرة زيتونة** تلحظ ذلك وتتساءل عن سبب سير السيارات في طرقات وعرة، فعرفت بعد سؤالها المواطنين أنه في أثناء الانتفاضة لا يسمح للفلسطينيين بالمرور من الطرق الرئيسة، وأخبرها السائق أنه لا يوجد طريق محددة سيسلكها، وسيبقى يلف ويدور حتى يجد طريقا توصله إلى زواتا، أو عصيرة الشمالية، وهذه جميعها طرق التفافية يسلكها الفلسطينيون بسبب إغلاق الطرق الرئيسة في ظل الانتفاضة.وهناك ذكر أيضا لطريق زواتا وتل، (مها) كانت تملك جواز سفر بريطانيا وهذا يساعد السائق في أن يسلك طريق حوارة[1].

أما في رواية **(حجارة الألم)** فقد امتدت الطرق الالتفافية بالفلسطيني، فالفلسطيني لم يعد يسلك الطرق الطبيعية الواصلة بين المدن، وفرض عليه الاحتلال سلك الطرق الالتفافية والجبلية الصعبة التي تستغرق وقتا أطول، عدا عن خطورتها في كثير من الأحيان جراء قيام قوات الاحتلال بإطلاق النار على المواطنين بشكل عشوائي، فهذا كريم فلسطيني من مدينة عنبتا مقيم في المجر قدم مع الوفد المجري لمساندة الفلسطينيين، تعجب هو والضيوف من وعورة الطريق وصعوبتها[2].

حارات البلدة القديمة: تشكل الحارة الشعبية أحد ملاذات الإنسان هربا من ضيق العيش في البيوت المظلمة والبائسة المنغلقة على نفسها إلى الخارج المفتوح حيث الفضاء الحميمي المنفتح والنابض بالحياة وديمومة التجدد والاستمرار، وهو المكان الذي يتحرك فيه الناس كل لحظة، ويتحول في بعض الأحيان إلى مكان أليف في البيئة الشعبية[3].

---

[1] ينظر: عبد الهادي، سهاد: **ذاكرة زيتونة**، ص57_ص81.

[2] ينظر: حامد، أنور: **حجارة الألم**، ص30.

[3] ينظر: هياس، خليل شكري: **سيرة جبرا الذاتية في البئرالأولى وشارع الأميرات**، دمشق: مطبعة اتحاد الكتاب العرب، 2001، ص157.

برزت الحارات في الروايات قاعدة مكانية تجري في إطارها الأحداث الروائية، وتتحرك فيها الشخصيات، ولم تظهر الحارة إطارا فيزيائيا سطحيا فحسب، وإنما كان لها فاعليتها في نسج خيوط أحداث الرواية. إذ شكلت الحارات في نابلس مكانا رئيسا، وكانت صاحبة الظهور الأوسع.

أطلعتنا رواية **(نابلس الجمر والرماد)** على حارات البلدة القديمة، وما دار في جنباتها من أحداث في أواخر الحكم العثماني، واصفة لنا أوضاع المدينة الاقتصادية وأحوالها في تلك الحقبة من التاريخ. فحارة القيسارية مثلا "**مثلها مثل بقية حارات نابلس مرصوفة بالحجارة**"[1]، أُشعلت القناديل في حاراتها زمن الدولة العثمانية. وعبر لنا (أبو الأمين) وهو أحد شخصيات الرواية عن تضايقه بسبب انطفاء القناديل وقت الفجر في الحارة بفعل غزارة الأمطار، وتحول حياته إلى جحيم في الحرب، فقد سحب الأتراك ابنه حافظ إلى العسكرية، وذهب إليها طائعا مختارا راغبا في ردّ العدوان عن الدولة ومنتصرا لخليفة الإسلام.

وقد انتشر في الحارات ذات البلاط الأملس السّميك: الأزقة، والعقود الرطبة، والبيوت ذات القباب، والأحواش مثل: حوش (القباقيب)، والقناطر كالقناطر الموجودة في حارة القيسارية، والدور المشتركة، والشوارع المرصوفة بالبلاط المحدب الأملس، والمقاهي المنتشرة في أرجاء المدينة كمقهى الشيخ قاسم الذي توسط المدينة قرب منارة الساعة المقامة وسط ساحة جامع النصر، توجه أهل الحارة لسماع الحكواتي الشيخ عزيز المصري، في القهوة، بلباسهم الشعبي القنباز، والطرابيش، والعمائم التي تحدد مستوى أصحابها المادي، وإذا ما تحدثنا عن اللباس وهو جانب من جوانب الحياة الاجتماعية، وجدنا الملابس مشابهة للباس المنتشر في المجتمعات الإسلامية في تلك الفترة، كما وارتدت كل فئة زيها الخاص.

ومن الحارات التي ذكرتها الرواية أيضا: حارة الحَبَلَة واعتبرت من أكبر أحياء المدينة في تلك الفترة وأكثرها اكتظاظا، "**إذ تحتل الحارة ربع مساحة البلد...تبدأ من شارع ترابي إلى الغرب منه خان، خصصه الأتراك لخيول الجندرمه والعساكر، واستراحة لمنامة الجنود المناوبين، وبين الخان والاستراحة ساحة في وسطها بئر لسقاية الدواب...وتمتد الحارة شرقا حتى حارة الحجاز**

[1] أبو غضيب، هاني: **نابلس الجمر والرماد**، ص7.

حيث ينتهي خط سكة الحديد الذي يصل نابلس بحيفا، ويتفرع منه خطوط تصل إلى بيروت ودمشق والعريش، وفي طرف الحارة الشمالي كان شارع الساقية، وهو شارع ترابي آخر تجثم على شماله المقبرة الكبرى في المدينة"[1]؛ لذلك شكلت هذه الحارة نقطة محورية في نابلس لما احتوته من معالم وأماكن رسمت صورة حية وواقعية للمدينة زمن العثمانيين.

وامتلأت حارة الحَبَلَة بعشرات القناطر والأحواش، تقع فوقها بيوت مشتركة، وعلى امتداد شوارعها المرصوفة بالبلاط المحدب الأملس توجد بيوت وأزقة كثيرة، وتنتشر عيون الماء العذب، **"أشهرها عين الساقية، وعين سوار، وعين الآغا، وعين أبو شاش"**[2]، وهي عيون لا ينقطع ماؤها العذب الصافي.

شكلت الحارة لشخصيات رواية **(نابلس الجمر والرماد)** مكانا للألفة بوصفها المكان الذي يختصر ذكريات الشخصيات الجميلة فهذا (حافظ) وهو في العسكرة يتذكر كل ما يربطه بحارته من ذكريات، فيحن إليها. وعندما يغادر الشام يرحل حافظ بكل جوارحه إلى بلده، مستعيدا التفاصيل الصغيرة، متجولا في كل ركن فيها **"استذكر وجوه الأهل والأحباب..الأصدقاء والجيران"**[3].

وجاءت الحارة في الرواية تمثل المكان الذي يجمع الناس في علاقاتهم المختلفة وتحديدا الرجال ففي جنباتها يلتقون ويتبادلون الأحاديث، فتكون الحارة المكان الذي يهرب إليه الرجال مبتعدين عن همومهم وأوجاعهم.

أما في رواية **(ذاكرة زيتونة)** فمعظم أحداث الرواية دارت في حارات البلدة القديمة وما طرأ عليها من تحولات زمن الانتفاضة فتعرضت للهدم والتدمير، ولم تجعل كاتبة الرواية حارات البلدة القديمة مكانا مفتوحا كما هو متوقع، بل كانت مغلقة ومحاصرة مداخلها كافة، فالحارات سجن كبير حرم سكانها من حريتهم، وتحولت بذلك من مكان أليف إلى مكان مُعادٍ يبعث على الخوف والحزن،

---

[1] أبو غضيب، هاني: **نابلس الجمر والرماد**، ص103_104.

[2] السابق، ص104.

[3] السابق، ص40.

وهذا ما عبرت عنه (سهر) بطلة الرواية بقولها: "**يا إلهي..ألا يكفيهم عزلنا عن العالم وقتما يشاؤون. من يصدق أننا في القرن الحادي والعشرين..؟!! وأين منظمات حقوق الإنسان؟**"[1].

وبذلك ارتبطت البلدة القديمة في ذاكرة أهلها بالحزن والدمار والخراب والقتل، واختفت صورتها الماضية والمشرقة في عقول قاطنيها، فهذه (سهر) تتحدث عن فظاعة الصور التي شاهدتها داخل حارات البلدة القديمة ومدى قسوتها، فقد أصبح الخيال حقيقة، وتطايرت الرؤوس بعد القصف، وتفحمت الجثث، وقتل الأطفال دون ذنب. لم تعد سهر بعد كل ما شاهدته قادرة على التحمل "**مادت وتهادت وغطت وجهها بكفيها، ولكن صور الجثث ما زالت تتداعى في مخيلتها**"[2].

منطقة المنارة: من المناطق المفتوحة في الرواية، واكتسبت أهمية خاصة لكونها مركز البلدة القديمة، ومنطقتها الحيوية، فهي مكتظة بالمشترين دائما، وتنتشر حولها المحلات المتنوعة من خياط إلى بائع أثاث إلى تاجر أقمشة. تقع مقابل جامع النصر، وتحتوي هذه المنطقة على ساعة المنارة، وهي من الأماكن العريقة التي ذكرتها الرواية، رغم صغر الحيز الذي تحتله المنارة من ساحة النصر إلا أنها امتلكت رمزية خاصة في قلوب النابلسيين، لكونها تشكل إرثا عريقا ورثته المدينة من الدولة العثمانية، وبقيت محافظة عليه ومتباهية به على مر العقود.

وقد أطلعتنا (**نابلس الجمر والرماد**) على تاريخ بناء المنارة وسببه، وعلى العناصر المكونة لها فقد " **بنيت قبل نحو عقدين بمناسبة اليوبيل الفضي لجلوس السلطان عبد الحميد على العرش، في وسط ساحة جامع النصر المقابلة لسرايا المتصرف، والمنارة مسلة مربعة تعلو كمئذنة، في جزئها العلوي ساعة كبيرة مربعة الجوانب تدق جرسا كل ساعة زمنية، في أحد جوانبها ساعة زوالية، ما أن تغرب الشمس حتى تدق اثنتي عشرة دقة معلنة انتهاء النهار وموعد أذان المغرب وأفول يوم آخر**"[3]، واتخذت المنارة موقعا متوسطا بين حارات مدينة نابلس وشيدت وسط البلد.

---

[1] عبد الهادي، سهاد: **ذاكرة زيتونة**، ص20.

[2] السابق، ص21.

[3] أبو غضيب، هاني: **نابلس الجمروالرماد**، ص95.

المحجر: من الأماكن الواسعة في رواية **(نابلس الجمر والرماد)** فاستخراج الحجر ينتشر على مساحة واسعة ومكشوفة من الأرض. الرواية لم تتحدث عن هذا المكان بشكل كبير فقد كان حضوره ثانويا في الرواية من خلال شخصية (الأمين)، فقد عمل حجّارا في المحجر الواقع على قمة جبل جرزيم، وتحدث عن صعوبة هذه المهنة التي تتطلب قوة وجهدا وصلابة.

الأماكن المغلقة

تؤدي الأمكنة المغلقة دورا محوريا في الرواية الفلسطينية، لأنها ذات علاقة وثيقة بتشكيل الشخصيات الروائية. وتتفاعل هذه الأمكنة مع الأمكنة المفتوحة بإيجابياتها وسلبياتها، فتبدو الأمكنة المغلقة مليئة بالأفكار والذكريات والآمال والخوف وحتى التوجس والترقب؛ فالأماكن المنغلقة ماديا واجتماعيا تولد المشاعر المتناقضة المتضاربة في النفس، وتخلق لدى الإنسان صراعا داخليا بين الرغبات وبين الواقع[1]، وتوحي بالراحة والأمان، وفي الوقت نفسه، لا يخلو الأمر من مشاعر الضيق والخوف، لا سيما إذا كان المكان المغلق هو السجن أو ما يشابهه[2].

توزعت **الأماكن المغلقة** في الروايات موضع الدراسة على النحو الآتي:

المقهى: "يشكل المقهى واحدا من الفضاءات الانتقالية الخاصة التي تتميز بتنوع دلالاتها الفنية فهو البؤرة المكانية التي تلتقي عندها الشخصيات، ومن طبقات اجتماعية مختلفة محاولة البحث عن راحتها النفسية في وسط ذلك الفضاء الداخلي"[3]، ويبرز المقهى مكانا مفتوحا من حيث ارتباطه بالمجال العام، فمن هذا المكان المغلق الخاص ينطلق مرتادو المقاهي معبرين عن مشاعرهم الداخلية عندما يلتقون بأصدقائهم ومعارفهم، فينتقلون بذلك من فضاء الداخل إلى مكان لصيق بالمكان العام، فهذا (الأمين) أحد شخصيات رواية **(نابلس الجمر والرماد)** احتواه مقهى (الشيخ قاسم) **"نفخ وكأنه يخرج من جوفه مقدارا كبيرا من همومه... وهو لا يخدع نفسه،**

---

[1] ينظر: محادين، عبد الحميد: **جدلية المكان والزمان والإنسان في الرواية الخليجية**، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2001، ص141. ينظر: طبنجة، كرم: **المكان في القصة القصيرة العربية**، الجامعة الأردنية، 2002، ص50.

[2] ينظر: أحمد، حفيظة: **بنية الخطاب في الرواية النسائية**، ص134.

[3] هياس، خليل شكري: **سيرة جبرا الذاتية في البئر الأولى وشارع الأميرات**، 181.

فهي هموم لا تنزاح عن صدره بسهولة"[1]، ورغم الارتياح الذي شعره وهو يجلس جلسته المعتادة بين أصحابه ما زال يشعر بالهموم تنساب فوق **رأسه**، ويحاول جاهدا أن يكون طبيعيا كما عرفه أصحابه دائما، "**لقد تعودوا هذه الجلسة اليومية يأخذون أنفاسا عميقة من أراجيلهم، ويخرجونها دخانا يعبق في أرجاء المقهى... يتحدثون بكل شيء، وعن كل شيء، يتندرون، ويتناوبون النكات الساخنة**"[2].

يمارس المقهى وظيفة حيوية تؤثر في الشخصيات الروائية، فهو مصدر الإمتاع والشويق لهم، وفي رواية **(نابلس الجمر والرماد)** اعتاد سكان البلدة القديمة ارتياد مقهى **(**الشيخ قاسم**)** خاصة في فترة المساء، يتسامرون ويتناقشون في أمورهم الخاصة، وأوضاع البلاد في الحرب، والزائر له يلفته صوت الأراجيل المنتشر في جنبات المقهى، وقد تميزت المقاهي ببساطتها التي تعكس طبيعة الحياة ومعيشة الناس، الرجال في المقهى " **يقاتلون الوقت بالصمت، تقطعه أصوات الأراجيل، ينصتون لكركرتها، يتخيلونها نشيجا يرثي لحالهم وحال البلد**"[3]، فالصمت في بعض اللحظات يكون أبلغ من الكلام، فيتوه رواد المقهى في شرودهم وهم يستمعون لصوت الأراجيل لعلها تخفف بصوتها وجع قلوبهم.

وصفت الرواية قهوة (الشيخ قاسم) وأطلعتنا على موقعها فهي تقع قرب المدينة وسط ساحة جامع النصر، ومع أنها أكبر مقاهي نابلس إلا أن طابع البساطة والتواضع سيطر عليها "**فالكراسي صغيرة، مصنوعة من القش، ومصفوفة حول طاولات واطئة متواضعة، أكل الدهر عليها وشرب، وفي نهاية المقهى ما يشبه المسرح، ولم يكن هذا المسرح أكثر من ألواح خشب قديمة، مثبتة على دكك خشبية، أسدلت فوقها ستارة قديمة، يبدو أنها كانت خضراء مالت ألوانها إلى الاصفرار**"[4].

---

[1] أبو غصيب، هاني: **نابلس الجمر والرماد**، ص27.

[2] السابق، ص27.

[3] السابق، ص93.

[4] السابق، ص29.

والمقهى في الرواية يشكل مصدرا من مصادر الألفة والمحبة، فهو يضفي نوعا من البهجة في قلوب مرتاديه، فهم يجتمعون كل مساء ويجلسون على الطاولة القريبة من المسرح عند اقتراب موعد الحكواتي؛ كي يكونوا قريبين من الراوي عندما يسرد قصته، و"**لم يكن الوافدون كلهم من طبقة واحدة... فمعظمهم من العمال أو على الأدق من أولئك الذين يعملون بقوت يومهم... لكن البعض الآخر كان خليطا من الميسورين وعلية القوم من تجار وملاك وأصحاب أطيان وعقار**"[1].

تأثر الناس بقصص الحكواتي تأثرا كبيرا فكانت تعتريهم الهموم عند سماع قصة حزينة "**حين غادروا المقهى كانت قد غشيتهم سحابة من الكآبة وشعور عارم بالانقباض**"[2].

المسجد: وهو من المعالم البارزة في المدينة التي احتلت مساحة في الفن الحكائي للرواية، وتطلعنا رواية **نابلس الجمر والرماد** على عدد من المساجد المنتشرة في البلدة القديمة، وتقدم لنا وصفا ماديا لمساجد البلدة القديمة، منها: جامع الساطون الذي عين فيه الشيخ (عبد الله) إماما، وعدّ هذا الجامع" **أحد أهم المعالم العمرانية في المدينة حيث يعود تأسيسه إلى عام 68هـ**"[3]، والجامع الكبير الذي بناه صلاح الدين الأيوبي، الواقع في حي القصبة، "**ولهذا يدعى في الملفات الرسمية الجامع الصلاحي الكبير وهو أضخمها وأكبرها حجما**"[4]، يتكون سقف الجامع من عدة قباب، ويبلغ ارتفاع الجامع في الجهة الوسطى عشرة أمتار، الجامع ليس له نوافذ إلا من الجهة الجنوبية، وتتميز هذه النوافذ بأنها كبيرة وواسعة وتتكون من عدة مقاطع[5]، ويوجد عنده عين تسمى عين الساقية استخدمها المارة للشرب، وأصحاب المحلات لقضاء حاجاتهم المختلفة.

جامع النصر يقع في منطقة باب الساحة، قرب مدخله عين ماء، تتدفق منها مياه عذبة للشرب، الجامع الحنبلي الذي يقع في حي القصبة وسط البلدة القديمة، وهو أحد المساجد التاريخية

---

[1] أبو غضيب، هاني: **نابلس الجمر والرماد**، ص32.

[2] السابق، ص62.

[3] الحواري، رائد: " العهد التركي في رواية نابلس جمر تحت الرماد" هاني أبو غضيب، 2017/1/21. =http://www.m.ahewar.org/s.asp?aid=545563&r=0&cid=0&u=&i=0&q

[4] أبو غضيب، هاني: **نابلس الجمر والرماد**، ص14.

[5] ينظر: السابق، ص14_15.

فيها، بناه السلطان العثماني سليمان بن عثمان، سمي الجامع الغربي، تولى الحنابلة الإقامة فيه منذ القرن السابع عشر فغلب عليه اسم الحنبلي. تشكل هذه المساجد رمزا من رموز المدينة الدينية، التي تدلل على هوية ساكنيها، وحرصهم على بناء المساجد ورعايتها[1].

شكل المسجد مكانا أليفا في الرواية إذ يجتمع فيه المصلون للصلاة، ويبتهلون إلى الله ويتضرعون، فهو يبعث السكينة والطمأنينة في النفوس، أبو الأمين شعر بالدفء وهو يستمع إلى صوت شاب يتلو ما تيسر من القرآن.

وفي موضع آخر مثّل المسجد مكانا آمنا لإحدى الضباط الأتراك الفارين من الإنجليز فقد انسل إلى داخل الجامع الحنبلي محتميا لكن الإنجليز انتهكوا حرمة المسجد وأطلقوا النار على الجندي داخل المسجد وأردوه قتيلا. أما في رواية **الفئران** فكان للمساجد دورها الفعال والإيجابي، فقد ارتفع صوت مآذنها مطالبا الأهالي بالصمود، وحثهم على الصبر والتحمل والمقاومة، كما مدهم بالأمل والتفاؤل.

ولم تختلف صورة المسجد عن سابقتها في رواية **(لغة الماء)**، إذ تجمع الناس في المساجد كملجأ آمن لهم، ووضعت مستشفيات ميدانية في عدد من مساجد البلدة. سيطر صوت (الشيخ ماهر) على عقول الخائفين، وبعث الراحة في نفوسهم، ودعاهم لإقامة صلاة الحزن، فالدعاء في تلك اللحظات كان ملاذهم الآمن والوحيد.

الحمامات: وهي من المنشآت العمرانية التي اشتهرت بها المدن الإسلامية في العصور الوسطى وقد قصدها الناس من مختلف الطبقات والفئات رجالا ونساء للاستحمام؛ لكون الناس لم تألف في تلك الأوقات الاستحمام في منازلها كما هو الحال في أيامنا[2]، ووجود هذه الحمامات ينسجم مع العقيدة الإسلامية التي جعلت النظافة ركنا من أركان الإيمان؛ لذلك انتشرت هذه الحمامات في المدن الإسلامية.

---

[1] ينظر: أبو غضيب، هاني: **نابلس الجمر والرماد**، ص96.

[2] ينظر: العرة، رئيسة: **نابلس في العصر المملوكي 648-923هـ (1250-1517م)**، جامعة اليرموك، رسالة ماجستير، 1995، ص159.

فإذا انتقلنا إلى مدينة نابلس وجدنا هذا النوع من المنشآت العمرانية والتي بلغت درجة من الجودة والتميز جعلت المقدسي يصفها بأنه لهم دواميس عجيبة[1]، ولعل شهرة نابلس في إنتاج أنواع الصابون الممتاز في المنطقة قد ضاعفت من جودة هذه الحمامات وما تقدمه من خدمات للناس[2]؛ لذلك لا نستغرب حين يصفها شيخ الربوة بأنها حمامات طيبة[3].

اعتبرت الحمامات من أشهر المعالم الأثرية والتراثية التي نقلها الأتراك إلى نابلس، وهي من الأماكن المغلقة الاختيارية في الرواية، إذ يتوجه إليها الناس طلبا للراحة والترفيه عن النفس، وترمز إلى الدفء والمحبة من خلال علاقة سكان البلدة وارتباطهم بها، فهم يجتمعون داخلها، يتحابون ويتآلفون في مكانهم الدافئ الذي يشعرهم بالراحة والرضا والتفاؤل، بعيدا عن أعبائهم اليومية.

تمتعت المدينة بعدد من الحمامات التركية أكثر من أية مدينة أخرى في فلسطين، حيث ضمت عشرة حمامات تركية أخذت الطابع الشامي، وتجسد ذلك من خلال الأغاني الشامية التي استقبل بها الزبائن، ومن الأدوات التي تميز الحمام التركي: استعمال القبقاب المصنوع من الخشب في الحمام للسير في تلافيفه، فهو يضفي جوا من المرح والمتعة حين يتعالى صوت القباقيب في الحمام ممزوجا بضجيج الزبائن وخرير المياه.

ومن أشهر حمامات نابلس الموزعة في أحياء البلدة القديمة: حمام الشفاء، وحمام الدرجة، وحمام الخليلي، حمام البيدر، حمام الريشة، حمام التميمي، حمام القاضي، وحمام السمرة الذي تذكره (حافظ) وهو في الحرب وجه من أوجه مدينته الجميلة التي تاق لها في غربته، تذكر دفء الحمام والمياه الساخنة، ومصطبة بيت النار، وغرفة البخار والمناشف الجافة[4]، وما اشتياق حافظ للمظاهر التي أحبها في الحمام إلا دليل على حميمية هذا المكان في قلوب ساكني البلدة وعمق

---

[1] ينظر: المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ط3، القاهرة: مطبعة مدبولي، 1991، ص174.

[2] ينظر: العرة، رئيسة: **نابلس في العصر المملوكي -923هـ (1250-1517م)**، ص159.

[3] ينظر: الدمشقي، شمس الدين: **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، ط1، ألمانيا (ليبزج): أوتوهاراوتس، 1923، ص200-201.

[4] ينظر: أبو غضيب، هاني: **نابلس الجمر والرماد**، ص161.

علاقتهم الروحية به، فهو المكان الذي يلقي فيه الإنسان كل مشاكله جانبا، ويجلس في حوار هادىء مع النفس.

الصبانات: وهي الأماكن التي تصنع الصابون، ويسمى (الغاسول) وقد ذكره ابن بطوطة في رحلته خلال كلامه عن نابلس فقال: "**إنها بلدة صناعية وبها صناعة الصابون الذي يصنع من زيت الزيتون**".[1]

الصبانات من الأماكن المغلقة في الرواية واعتبر صابونها من أجود أنواع الصابون في العالم، وصدّر إلى المدن والبلاد المجاورة كمصر، وانتشارها خير دليل على ازدهار هذه الصناعة، وحرفية أهل نابلس في صناعتها، وهي حرفة مربحة للنابلسيين، لذلك تعددت الصبانات، وامتلكها أشراف المدينة[2].

عرضت (نابلس الجمر والرماد) لصبانات المدينة، ومكوناتها، وموادها، وطريقة صنع الصابون النابلسي الفاخر، ومدى حرص السلطان والباب العالي والوزراء على أخذ حصتهم من الصابون النابلسي.

ذكرت الرواية مصبنة (الحاج رشاد الليموني)، وتحدثت عن موقعها، ومكوناتها، وطريقة طبخ الصابون فيها. اتخذت المصبنة موقعا متوسطا في البلدة القديمة، أمامها ساحة صغيرة مسورة، مليئة بأكياس القلى المستخدم كمادة رئيسية في صناعة الصابون الأفضل والأجود وتكونت الصبانة من طابقين، واحتل الطابق الأول مساحة واسعة من مساحة الصبانة، فارتفاعه يزيد عن سبعة أمتار، لا يحتوي على نوافذ، يضاء في النهار بإضاءات معلقة على جدرانه، كما احتوى بئرا عميقة لحفظ زيت الزيتون المستخدم في صناعة الصابون، سعته كبيرة واحتوت زاوية كل طابق

---

[1] النمر، إحسان: **أحوال عهد الإقطاع وفيه البرهنة على استقلال الضفتين في هذه العهود (استقلالا داخليا كاملا)**، ج2، نابلس: مطبعة النصر التجارية، 1961،ص 288.

[2] ينظر: شولش، الكزاندر: **تحولات جذرية في فلسطين 1856_1882 دراسات حول التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي**، ت: كامل جميل العسلي، ط2، عمان، الأردن، 1993، ص193_194.

غرفة صغيرة لها استخدامها الخاص، الحجرة الأولى استعملت لوضع براميل الصودا الكاوية، والحجرة الثانية لنوم الحارس، والحجرة الأخيرة توضع فيها المعدات.

ويقع في وسط الطابق الأول فرن نار قطره ثلاثة أمتار وفوقه إناء نحاسي سميك، قطره أيضا ثلاثة أمتار وبعمق مترين، ويرتفع أعلى الفرن على حجارة نارية تحتمل الحرارة ومثبتة بشكل قوي، وفي أسفل الإناء حفرة لإذكاء النار وتغذيتها "**بالجفت**"[1].

احتوى الطابق الثاني على نوافذ مفتوحة طيلة النهار، وغرفة واحدة جدرانها من الحجارة الكبيرة، لها باب حديدي ضخم، وكانت مكتب صاحب الصبانة فيها دفاتره وحساباته الخاصة وخزنة أمواله.

لقد هيمنت الصبانات على حياة الناس، وعدّت رمزا للمال والثروة، وقلاعا يصعب اختراقها؛ لأن ملاكها من أشراف المدينة، وأسبغت عليها طبيعة بنائها ومكوناتها طابع الرهبة والغموض، فهي عبارة عن أبنية ضخمة ذات أبواب كبيرة، وأقواس تعلو مداخلها، وقد مُنِع دخول الغرباء إليها.

فصّلت الرواية في طريقة طبخ الصابون، إذ يقوم العمال بإفراغ عدد كبير من جرار الزيت في الإناء النحاسي، ثم تشعل نار الموقد تحته، وبعد غليانه تضاف إليه مادة القلى على دفعات، وتحرك طبخة الصابون باستخدام عصيّ طويلة، يروح العمال عن أنفسهم بالتهليل والتكبير والصلاة على النبي، ويغنون بعض الأغاني التراثية الخاصة بطبخ الصابون

"الحجـــــي نـــــزل الصـــــبانة حامـــــل بئيـــــده كيلـــــه
يـــــارب تجيبـــــو ســـــالم لتعـــــيش هـــــادي العيلـــــة
الحجـــــي نـــــزل بديّاتـــــه يـــــا رب اتجيبـــــو لخيّاتـــــه
الحجـــــي نـــــزل بطاقيتـــــه يـــــا رب تجيبـــــو بعافيتـــــه

[1] الجفت: هو كل ما يتبقى من حبوب الزيتون المدروسة بعد استخلاص زيوتها وهرسها تحت رحى المدرس فلا يبقى إلا (الثفل) ونوى مطحون. ومن عادة العامة أن تجمع النوى المطحون لتستعمله في شؤون التدفئة والوقود عامة. ينظر: البرغوثي، عبد اللطيف: **القاموس العربي الشعبي الفلسطيني اللهجة الفلسطينية الدارجة**، ص1040.

الحجـــــــي فـــــــتح الصـــــــبانة علشـــــان عيـــــون الســـــلطانة"[1]

وبهذه الكلمات البسيطة سلّى العمال أنفسهم، ليخففوا عنهم أعباء عملهم الشاق وأضفوا جوّا من المتعة والتسلية، فالغناء يبعث في النفس الراحة والهدوء.

تستمر عملية الطبخ أسبوعا كاملا حتى تصبح المكونات لزجة، ثم يسارع العمال بنقلها إلى الطابق الثاني، فيفرشونها على الأرض، وينتظرونها لتجف قليلا، ثم يقطعونها باستخدام سيوف حادة طولا وعرضا، وتختم كل قطعة بخاتم خشبي كعلامة تجارية مميزة. يبني العمال صوامع من قطع الصابون والتي احتوت على فتحات لدخول الهواء، ليتم التأكد من جفاف الصابون بشكل تام.

عمل الصبانة شاق جدا، فقد ترك في أجساد العمال آثارا كبيرة، كتقوس السيقان وتحدب الظهور من شدة التعب والإرهاق، فضلا عن الأجور الزهيدة التي يتقاضاها العمال مقارنة بربح أصحاب المصابن وثرواتهم[2]. فقد عبر لنا (سعيد) عن ذلك قائلا: الحاج "**يربح في كل دورة مائة ليرة ذهبية، أي ما يفوق أجرهم مجتمعين لست وثلاثين طبخة صابون، أو لمدة عامين أو يزيد**"[3] في إشارة واضحة لصورة أصحاب المال وجشعهم في كسب المال على حساب الآخرين.

البيت: هو المكان الخاص المغلق ويعرفه باشلار قائلا: "**البيت ركننا في العالم، وهو كوننا الحقيقي الأول**"[4]، والبيت ملجأ العائلة الآمن، فيبدو مكانا أليفا يمحو التمايز بين العام والخاص[5]. وهو المكان الأول الذي يجد فيه الإنسان نفسه كونه عالم الشخص الذاتي فيه تنكشف خبايا نفسه، وفيه يعبر عن مواقفه من الناس والأشياء[6]، وهو مكان الألفة والحماية والسكينة. وقد سمي بالمسكن

---

[1] أبو غضيب، هاني: **نابلس الجمر والرماد**، ص115.

[2] ينظر: السابق، ص113_117.

[3] السابق، ص124.

[4] باشلار، جاستون: **جماليات المكان**، ص42.

[5] ينظر: دودين، رفقة محمد: **خطاب الرواية النسوية العربية المعاصرة**، ص309.

[6] ينظر: درغوث، ليلى: **المكان والزمان في يوميات نائب في الأرياف**، مجلة الحياة الثقافية، ع: 58، 1990، ص47.

لتضمنه معنى السكينة والأمان لقوله تعالى: "**وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما**"[1].

ولأهمية هذا المكان وحضوره الدائم في ذاكرة الشخصيات نجده يحتل حيزا كبيرا في الروايات موضع الدراسة ليعطينا صورة عن البيت الفلسطيني، ففي رواية **(نابلس الجمر والرماد)** شكّل البيت عنصرا أساسيا من عناصرها، إذ مكنتنا من معرفة مكونات البيوت وخباياها في الفترة العثمانية، فالبيوت كانت متراصة، وتعلوها القباب.

بيت (أبي الأمين) من أهم البيوت التي ركزت عليها الرواية، فهو بيت فلسطيني عادي، اتسم بطابعه التقليدي البسيط، والذي ينم عن بساطة ساكنيه وقناعتهم بما قسمه الله لهم، فقد امتلأ البيت بالشقوق، وهو "**يقع أعلى حارة القيسارية، ولا تفصله عن طريق رأس العين سوى سلسلة من الأحجار الكبيرة رصفت دون عناية أو اهتمام**"[2].

يتكون البيت من ثلاثة طوابق، استقل كل طابق فيه عن الآخر، وقدمت الرواية لكل طابق وصفا تفصيليا فـ "**كل طابق من الطوابق مكون من غرفتين أو ثلاث غرف تتوسطها ساحة ملساء مقصورة من الملاط وهو تراب ناعم مخلوط بشيد، في طرفها الجنوبي تقع غرفة الطعام والغسيل وإلى جانبها حمام خاص بأهل الطابق وزواره، وفي وسط الساحة مصطبة تعلو قرابة الشبرين مخصصة للجلوس الصيفي**"[3]، وبذلك نستطيع أخذ صورة عامة عن طابع البناء، وطريقة تقسيم البيوت في نابلس في تلك الحقبة الزمنية.

أطلعتنا الرواية على صفات البيت المادية، فالبيوت صغيرة، ضيقة، مليئة بالأثاث المهترئ، والخزائن المتآكلة والمنخورة الفارغة من الطعام والمؤونة، وبنيت هذه البيوت بتضافر رجال الحارات وتعاضدهم مع بعضهم البعض، (عبد الحميد) وهو أحد شخصيات الرواية عبر عن ذلك قائلا: "**كل زقاق وكل قنطرة مبنيان من الحجارة الضخمة، كل حجر منها يشهد على تضافر**

---

[1] القرآن الكريم: **البقرة**/35.

[2] أبو غضيب، هاني: **نابلس الجمر والرماد**، ص20.

[3] السابق، ص20.

الأيدي، تعاضد السواعد، اتحاد الظهور... وعلى تعب الرجال، بعرقهم، بدمهم رفعوا الأزقة والقناطر والأقواس، وبنوا فوقها وعلى أطرافها بيوتهم الصغيرة العتيقة..."[1].

أما في رواية (**الفئران**) فعبر السارد (الزرزور) عن صفات بيت عمه في القرية ليدفع المتلقي لبناء علاقة قوية مع المكان، والبيت يمثل نموذج البيت الفلسطيني القروي البسيط، فما زالت القرية تتخذ طابع البساطة في نمط معيشتها، فبيت علي (زوج فوقية) المعدم الفقير متواضع ويحتوي على أثاث مهترئ، يقع في أسفله حوش صغير بداخله شجرة توت وزريبة يوضع بها الحمار، كما أن عدد غرفه قليل، وتستغل في معظم الأحيان للنوم، البيت يتكون من "**الحوش، شجرة التوت، حوض الزريعة، بعض الورد المزروع على أطراف الحوش، الدرج المؤدي إلى العلّية، غرفة الصفيح على يسار المدخل، زريبة صغيرة تقي الحمار برد الشتاء والمطر**"[2]. وفي موضع آخر من الرواية يتحدث(الزرزور)عن بيت عمه القديم في سياق حديثه عن (فوقية) زوجة عمه فبيته قديم قدم التاريخ "**والله لا أعلم إن كان عثمانيا أو مملوكيا أو حتى رومانيا**"[3].

السجن: يعرف (غاستون باشلار) في كتابه جماليات المكان السجن بأنه المكان الذي يقوض تثبيتات الحماية والأمان ليحل مكانها وخزات الألم وفقدان حتى أحلام اليقظة بالهناء والسكينة[4]. وهو مكان روائي مغلق يشكل مكانا معاديا بذاته وهندسته التي تحجبه عن المجال العام المفتوح نقيضا لأمكنة الألفة والشعور بالسعادة والأمان[5].

ويعد السجن من الأماكن التي تصادر فيها حرية الإنسان، وعندما يحل فيه السجين فإن الأمل بمغادرته بأي طريقة ظلّ هو الشعور المسيطر على السجين. تعرضت رواية (**نابلس الجمر والرماد**) لسجن القشلة الذي وضع فيه (عبد الحميد) بعد عودته من حضور مؤتمر القدس، فكان

---

[1] أبو غضيب، هاني: **نابلس الجمر والرماد** ، ص104.

[2] دويكات، عباس: **الفئران**، ص33.

[3] السابق، ص15.

[4] ينظر: باشلار، غاستون: **جماليات المكان**، ص44.

[5] ينظر: دودين، رفقة محمد: **خطاب الرواية النسوية العربية المعاصرة: ثيمات وتقنيات**، عمان: منشورات أمانة عمان الكبرى، 2007، ص327.

بذلك أول سجين يوضع فيه، وبعد هذه الحادثة أظهر سكان نابلس تعاونهم وتكاتفهم لإخراج عبد الحميد من سجنه الإجباري المؤقت، فأضربت المدينة وأقفلت أسواقها ومحلاتها، وخرج أهلها في مظاهرات معلنين رفضهم ومطالبين بإطلاق سراح عبد الحميد إلى أن أطلق سراحه بعد يومين، وقامت السلطات البريطانية بمنعه من الخروج من المدينة[1].

أما في رواية **(الفئران)** فيتعرض السجين في السجن[2] إلى امتهانات وابتزازات كبيرة، يتفنن العدو في آليات تنفيذها لإجبار السجين على الاعتراف بالفعل والذنب معا حتى لو كان بريئا، فهذا (خالد) يعتقل في بداية الثمانينات مع ثلاثة من أبناء الخربة ويتحدث عن لحظة اعتقاله وما تعرض له من تعذيب وإهانة واصفا الزنزانة التي زج فيها وحيدا: "**سيق أربعتنا إلى السجن، كان كل واحد منا في سيارة مع مجموعة من الجنود، ألقي بي في زنزانة صغيرة لا تتجاوز حجم حمام، بعد إدخالي إلى الزنزانة أزاح الجندي قطعة القماش عن عيني، وفك قيدي من الربط، وفي نفس الليلة وقبل الفجر اقتادني أحد الجنود إلى غرفة مظلمة، ربط يدي وأجلسني على كرسين ثبت قدمي بالكرسي**"[3].

تحدث (خالد) عن التعذيب الذي تعرض له في السجن قائلا: "**ربط ساعدي بحبل معلق في السقف وأنا واقف، ووضع على عيني قطعة قماش، كان كلما مر أحدهم قربي يضربني أو يركلني بقدمه، أو يشتمني. مضى علي شهر كامل في التحقيق، رأيت فيه أصناف العذاب ما لم يصدقه أحد، أو يفكر فيه أو حتى يتخيله، كدت أفقد عقلي، شهر لم أر فيه أحدا من الناس غير المحققين والجنود، ولم أسمع إلا الشتائم، ولم أتلق منهم إلا الضرب والركل والتعذيب**"[4].

وفي موضع آخر يتحدث (أحمد الملهوف) وهو أحد شخصيات الرواية عن لحظة اعتقاله ووضعه في سجن مجدو بتهمة إلقاء الحجارة للتحقيق معه، وتظهر صورة رجل المخابرات الإسرائيلي الذي يقنع أحمد بتعاونه معهم قائلا: "**إسمع أحمد، أنا سأتركك تفكر يومين، بعدها**

---

[1] ينظر: أبو غضيب، هاني: **نابلس الجمر والرماد**، ص212_ص239.

[2] والسجن هو المكان الذي يتم اعتقال الفلسطينيين داخله والتنكيل بهم ومصادرة حقوقهم الإنسانية. ينظر: **الموسوعة الفلسطينية**، ط1، م2، دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984، ص542.

[3] دويكات، عباس: **الفئران**، ص45.

[4] السابق، ص46.

تقرر، عشرون عام سجن أو تتعامل معنا، سجن، بهدلة، عذاب، وحدة، تخرج كبير في السن، لا تستطيع عمل شيء، مستقبل مدمر، إنظر إلى السجناء، خمسون عام، مؤبدات، أمراض، موت في السجن، وإذا تعاونت معك كل شيء يوفر إلك، أموال كثيرة، سياحة، نساء، جميلات"[1].

ويتعرض السجين في السجن إلى تجارب أخرى يخضع لها في الفترات التي تعقب التعذيب والتحقيق، إنها تجربة الحبس الانفرادي في زنزانات فردية ذلك أنها الأسوأ، حيث يكون السجين في طوق من العزلة الجسدية، والعزلة العاطفية أيضا[2]، يقول (أحمد الملهوف) واصفا تجربته الأليمة في السجن على حد الانتهاك الإنساني للجسد وللأفكار والمبادئ: "**دخل جندي، اصطحبني إلى زنزانة صغيرة جدا، دفعني إلى داخلها بقوة، فك يدي، رفع العصبة عن عيني، أقفل الباب وغادر. أخذت أتأمل الزنزانة، إنها صغيرة جدا، معتمة، رطبة، ماذا أفعل، عدت إلى الوحدة والتحقيق، آه، عشرون عام وعلى الأقل، ماذا أفعل بنفسي، سأصبر وليكن ما يكون، عشرون عاما، فليكن، مر اليوم الأول، لم أتناول فيه إلا وجبة واحدة عند الغروب، أظن أنه وقت الغروب، صحن من الفول البارد وقطعة من الخبز**"[3].

لكنّ (الملهوف) انضم إليهم مقابل خروجه من السجن، وقُدّمت له كل التسهيلات اللازمة، وأمضى بعد خروجه ثلاثة أيام مع فتاة في فندق على شاطئ طبريا، وقضى يومين في التدريب مع رجل مخابرات، وأعطوه رقما شخصيا، وجهاز اتصال، ومبلغ 500 شيقل، ثم عاد بعدها إلى المخيم بطلا من أبطاله، ازداد نشاطه في المخيم، طلبت منه قوات الاحتلال ملاحقة المطلوبين من بينهم جمال العويد[4].

أما في رواية **(حبات السكر)** فلم تختلف صورة السجن والسجان عن سابقتها، ها هو (عبد الله صالح) يكتب عن معاناته في السجن قائلا: "**أنهي اليوم تسعين يوما على اعتقالي..ثلاثة أشهر ترك بها البرش علامات فارقة على ظهري، أنا هنا في سجن مجدّو خمسة عشر يوما..ولا**

---

[1] دويكات، عباس: **الفئران**، ص93.

[2] ينظر: سرمك، حسين: **المشكلات النفسية لأسرى الحرب**، ط1، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1995، ص11.

[3] دويكات، عباس: **الفئران**، ص93.

[4] ينظر: دويكات، عباس: **الفئران**، ص87_ص98.

بد أن أعترف إنني في الجنة بالنسبة لما لاقيته في الأيام التي سبقت انتقالي هنا"[1]. وفي موضع آخر يستعيد عذاباته الأليمة في السجن وكيف حقق معه ضابط المخابرات الإسرائيلي قائلا: "**صاح الشرير:**

– إحنا عارفين عنك كل شي، إنت بتعمل مواقع إنترنت بتسحب شباب إسرائيليين وبتدبحهم، إنت واحد مخرب، ساعدت شباب ينقلوا أسلحة، وين تدربت، شو بتعرف عن محمد الأحمد، هو اعترف عليك إنت الراس، إحكي، أول عن آخر بدك تحكي، ساعد حالك"[2].

إن مثل هذه الامتهانات الجسدية، وهذ الضغوطات النفسية عليه لانتزاع اعترافاته بالإكراه، وكل ما يرافق ذلك من إيهامات نفسية مرعبة هي من أول آليات تطويع السجين لتقبل فلسفة القوة الآسرة له، والتي تحاول إخضاعه بأية وسيلة لانتزاع الاعترافات منه، وهي محاولة مدروسة للحصول على المعلومات بواسطة نقاط الضعف الإنسانية ووسيلة للابتزاز إلى حد الانهيار[3].

أما في رواية **(لغة الماء)** يسترجع (محمد العربي) بطل الرواية في حواره مع فاطمة ذكريات تعذيبه في سجن السلطة قائلا: دخل علي أحد رجال الشرطة "**أمرني بخلع حذائي أولا، ثم طلب مني نزع القميص والسروال، أوهموني بأنهم سيجرون لنا فحصا طبيا، فامتثلت للأوامر، ثم أمرني بالتحرك. سرت حافيا حتى وصلت إحدى الغرف، كان فيها مجموعة، من بينهم ضابط أمرني باعتلاء ما يشبه المصطبة، ورفع يدي عاليا، أمر أحدهم بتقييدي بحلقات تتدلى من السقف، ودفعوا بالمصطبة بعيدا. تعالى صوتي احتجاجا، حاولت التحدث مع الضابط، إفهامه بأن هناك خللا ما، بأننا فلسطينيون مناضلون، وتاريخنا يشهد بذلك، لم يكن يصغي يا فاطمة، فقط كان يقيسني بنظراته طولا بعرضا"**[4].

---

[1] أبو الحيات، مايا: **حبات السكر**، ص37.

[2] السابق، ص40.

[3] ينظر: سرمك، حسين، **المشكلات النفسية لأسرى الحرب**، ص11.

[4] خلف، عفاف: **لغة الماء**، ص49.

ونتيجة لما تعرض له من تعذيب جسدي ونفسي في سجن السلطة وتحديدا بعد استشهاد صديقه محمود على أيدي ضباط الشرطة جراء التحقيق، ربط أحمد بين صورة المحتل وصورة السلطة التي تمارس على المعتقلين الفلسطينيين أسوأ أساليب التعذيب وأعنفها، فيعبر عن ذلك قائلا: "**ثمة رابط بين كل الجلادين، بدءا بأصغر حارس، وانتهاء بأكبر طاغية، جميعم صبّ في آذانهم قطر الحديد، فاقتصرت حواسهم على العينين والأنف، يشتمون رائحة الدّم ويهتاجون، تصلهم الصورة مشوهة فيعدلونها عوجا**"[1].

ولم تختلف صورة السجن وعذابات السجناء عند المحتل عما كانت عليه في سجون السلطة، وقد وصف لنا (محمد العربي) تجربته في سجون الاحتلال وما تعرض له من تعذيب "**تناقلنا الجنود بالركلات والهروات، لم نعرف من أين تأتينا الضربات. حين وصلنا الخيام، سقطت على الأرض متعثرا بمن معي، كتلة من التعب والإرهاق واللحم المرضوض، الأرضية تقطر ماء، المكان ضيق، والروائح كريهة**"[2].

ويقرر (جهاد) أحد شخصيات الرواية تنفيذ عملية استشهادية بعد خروجه من السجن، فقد تحول جهاد بعد تجربة الاعتقال التي خاضها إلى رجل آخر لا يفكر إلا بالانتقام ممن نزفوا في روحه جرحا لا يلتئم "**ستون يوما، يقلبون فيّ الإنسان، يعيدون خلقنا كما شاءوا، لا كما شاء الله. عرّوني مقيدا، مصلوبا، مشبوحا، مهانا وذليلا، قتلوا فيّ الإنسان، اقتلعوه من تحت أظافري بالملزمة. وتسألني عن عريب؟ نزفتها هناك، في الزنازين، في أقبية التحقيق، ومجاري العتمة، لم يبق منها، مني أي شيء. وبعد هذا تسألني إن كنت واثقا؟**"[3].

إن توظيف السجن في المتخيل الروائي حمل رسالة الإدانة الشاملة لعالم القمع والإرهاب الذي يتعرض له السجين، والذي قد يكون سرّ سقوط المناضل الفلسطيني في العجز؛ لأنه فقد

---

[1] خلف، عفاف: **لغة الماء**، ص49.

[2] السابق، ص105.

[3] السابق، ص144.

القدرة على الاتصال بالآخرين ليكون حلّ مثل هذه الأزمة، والخلاص من حالة المعاناة غير متوفر إلا إذا تخلص السجين من الأسباب الحقيقية التي تصنع أزمات المجتمع كله[1].

المخيم: هو المكان الذي يلجأ إليه المشردون من أرضهم ومساكنهم ليقيموا فيه داخل خيام إقامة مؤقتة، إلى حين عودتهم إلى أرضهم ومساكنهم. وقد اشتق الاسم من الخيام التي تشكل المأوى الوحيد للمشردين في المرحلة الأولى للإقامة في المكان[2].

والمخيم في المفهوم الفلسطيني هو ذاك الفضاء المكاني الذي أقام فيه الفلاحون من الطبقة الفقيرة الذين هجروا من أراضيهم علم 1948م، بعد أن استقر بهم المطاف على هوامش المدن في الضفة الغربية وقطاع غزة والبلاد العربية، وهو بحسب ما عرفته وكالة غوث وتشغيل اللاجئين (الأنوروا) هو: "**عبارة عن رقعة من الأرض خصصتها السلطات المضيفة للأونروا، من أجل توفير الإقامة للاجئي فلسطين وإقامة المرافق التي تلبي احتياجاتهم**"[3].

يمثل المخيم في **(الفئران)** مكانا ضيقا، فهو يوحي باتساعه، لكنه في الحقيقة ضيق على قاطنيه، فيذكر الكاتب في الرواية الواقع المأساوي للمخيم، فمنازله ملتصقة ومتجاورة، وبيوته مبنية من الصفيح.

يتعرض المخيم في الانتفاضة الثانية للاجتياح ويضيق عليه الخناق أكثر، ويحاصر من كل اتجاهته، أعطت الرواية المخيمات المحيطة بنابلس أسماء وهمية مثل مخيم الغريب حتى يشعر القارئ بأن أحداث الرواية حدثت في منطقته التي يعيش فيها، فهناك تشابه في وصف جميع المدن الفلسطينية حيث يوجد حول كل مدينة مخيم أو أكثر[4]، ولم تقدمها بأسمائها الحقيقية مثل مخيم الغريب الذي أوهم الناس بوجود مقاومة فعلية داخله، لكنّ صدمتهم الكبرى كانت حين خرج المقاومون منه دون أن يطلقوا رصاصة واحدة، فكانت استعداداتهم زائفة وموجهة ومراقبة. نجح

---

[1] ينظر: أبو نزيه، نضال: **أدب السجون**، ط1، دار الحداثة، 1981، ص78.

[2] ينظر: اشتية، محمد: **موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية**، عمان: دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، 2011، ص537.

[3] السابق، ص537.

[4] ينظر: الحواري، رائد: رواية-الفئران-عباس دويكات، الحوار المتمدن، ع: 4592، 2014/10/3. http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=435631

الاحتلال في إخماد شرارتها، فشكل المخيم لقمة سائغة في فم الاحتلال، وتمكنوا من السيطرة عليه وتخويف أهله.

أما رواية **(ربيع حار)** فصورت المخيم ومرارة العيش فيه، فهو يعني الضيق والانغلاق عاش الناس فيه في غرف صغيرة ومتلاصقة، و"**أصوات الناس وأسرار الناس وفضلاتهم على الشارع**"[1]، وهذا يؤكد انعدام الراحة والخصوصية في المخيم مهما حاول الإنسان العيش بسلام.

كما أبرزت الرواية صورة اللاجئين الفلسطينيين المتمسكين بأرضهم التي هجروا منها عنوة، فاحتفظ معظمهم بمفاتيح بيوتهم أملا في عودتهم إليها يوما، لكن غربتهم التي ظنوها طارئة استمرت أجيالا وامتدت أعواما طويلة، ومع ذلك لم يفقدوا أملهم بالعودة إلى ديارهم، وغدا المخيم بالنسبة لهم رمزا تأصيليا لحق العودة، ومعطى مكانيا ونضاليا وثقافيا واجتماعيا للشخصية الفلسطينية المهجرة[2]. فهذا والد **(فضل القسام)** أحد شخصيات الرواية "**ابن حيفا ووادي النسناس كان وما زال يحتفظ بمفتاح الدار، وصورة معرض سجاد حيفا لأغلى سجاد، وأحلى سجاد من إيران**"[3].

الحاجز العسكري: هو مصطلح يختلف في الشكل والمعنى والمضمون عن المصطلح الإنجليزي (Check point) "نقطة تفتيش" وحتى عن الفرنسي (Barrage) "سدّ"، فهو عبر عن علاقة قهرية وغير ودية نشأت بين طرفي الصراع الإسرائيلي والفلسطيني[4].

وهو مكان مغلق يتخذ حيزا ضئيلا، إلا أن ضرره يمتد ليشمل مساحات واسعة، فرضه الاحتلال الإسرائيلي على المواطن الفلسطيني ليعيقه من التواصل مع بقية قرى ومدن الضفة الغربية، فتتضاعف معاناته وشعوره بأنه معتقل في سجن أكبر من السجن الحقيقي، لكن إقامته لم تمنع الفلسطيني من مواصلة حياته، وتنقله بين المدن والقرى، فهذا **(الزرزور)** أحد سكان خربة باب الهوى يعمل بائع خضراوات يتنقل بين القرى المجاورة ليحصل على قوت يومه، وذلك لإيمان الفلسطيني ووعيه العميق بحقيقة هذا المكان الطارئ كونه زائلا لا محالة، ويعبر **(الزرزور)** في

---

[1] خليفة، سحر: **ربيع حار**، ص18.

[2] ينظر: اشتية، محمد: **موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية**، ص537.

[3] خليفة، سحر: **ربيع حار**، ص18.

[4] ينظر: اشتية، محمد: **موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية**، ص199.

الرواية عن امتعاضه لكثرة الحواجز الواصلة بين المدن والقرى الفلسطينية قائلا: "**عدت يوما من رحلة الشقاء منهكا، لم أبع أكثر من ربع ما أحمل في السيارة، كانت خسارتي كبيرة، أينما أذهب أجد الحواجز أمامي، الجيش يعيدنا من حيث أتينا وإن تخطينا الجيش كان لنا الشباب والفتية بالمرصاد، فنجد الطرق مقفلة أمامنا**"[1].

أما في رواية (**ربيع حار**) فقد شكلت الحواجز مظهرا من مظاهر حصار المدن وفصلها، فقد أقيمت الحواجز على مداخل المدن والقرى لتقييد حرية الناس، أصبح الشباب يموتون على الحاجز، والمرضى يعانون قبل وصولهم إلى المستشفيات، والنساء يلدن على الحاجز، وكأن الحاجز أصبح بالنسبة للفلسطيني يشكل وجها آخر من وجوه الحياة، وعادت العربات والحناطير التي تجرها الدواب على الحاجز وسيلة من وسائل نقل المواطنين والبضائع؛ بسبب منع السيارات من الاقتراب من الحواجز، كما يتعرض الفلسطيني عليها للتفتيش والإهانة بهدف التلاعب بمشاعره.

ومثل الحاجز في رواية (**حجارة الألم**) رمزا من رموز إذلال الفلسطيني وإهانته، فعليه يشعر بأنه يعامل معاملة وحشية وعنصرية فيتعرض للتفتيش والمساءلة والتدقيق، فهذا فؤاد مات والده أمام عينية بعد أن أوقفه جنود الاحتلال على الحاجز، ومنعوه من المرور رغم ذهاب الوفد المجري معه لمساعدته في وصول والده إلى المستشفى، وأخذوا يبكون بكاء حارا، لأنهم لم يستطيعوا فعل شيء، وعبّر (كريم) عن ذلك قائلا: "**حين وصلنا الحاجز أوقفنا الجنود، وطلبوا منا النزول من السيارة. أشرنا على أبو فؤاد أن يبقى في مقعده، ولكن الجنود بدأوا يصرخون به وأمروه بالنزول. حاول أندراش مجادلتهم وقال إن أبا فؤاد مريض جدا ولكنهم أصروا على نزوله.**

أسند (فؤاد) والده وساعده في النزول وبقيا في انتظار الأوامر. مرت الدقائق بطيئة ولم تصدر لنا أيّة تعليمات"[2].

---

[1] دويكات، عباس: **الفئران**، ص140.

[2] حامد، أنور: **حجارة الألم**، ص117.

الفصل الثاني

حضور الانتفاضة في روايات حضور نابلس

الفصل الثاني

حضور الانتفاضة في روايات حضور نابلس

ظهر مصطلح الانتفاضة حديثا بعد اندلاع الانتفاضة الأولى عام 1987، وانتقل ليعبر عن انتفاضة الأقصى الثانية التي اندلعت عام2000، فالانتفاضة فعل ثوري مقاوم "**وهي فعل سياسي واجتماعي وحضاري**"[1]، قام به الشعب الفلسطيني ردا على ظلم الاحتلال وممارساته البشعة بحق الفلسطينيين، فانتفض الشعب مطالبا بالحرية والاستقلال.

إنّ الانتفاضة وصف مجازي للحالة الثورية التي يحياها الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة، وهي لغة الثورة والتمرد على معاناة هذا الشعب خلال عقود طويلة من القهر والظلم، وهي صوت المحرومين والمظلومين الذين أغلقت في وجوههم كل أسباب الحياة الحرة الكريمة، فاختاروا طريق التضحية، وأثبتوا دائما مدى قدرتهم على مقاومة عدوهم وهزيمته بالرغم من شراسة العدو وجبروته وإمكاناته العسكرية والمادية الكبيرة[2].

والانتفاضة الفلسطينية لم تحدث مصادفة. ولكنها اندلعت نتيجة حتمية لجهد الشعب الفلسطيني ومقاومته الطويلة حتى أصبح مستعدا للانتفاض والتضحية في سبيل تحقيق حريته واستقلاله، وهنا "**فالانتفاضة تعتبر أول تمرد ثوري ضد الاحتلال الإسرائيلي، شاركت فيه كل فئات الشعب الفلسطيني رجالا ونساء...شيبا وشبانا وأطفالا...وهي أول تجسيد للوحدة النضالية لمواطني المناطق المحتلة**"[3]، وبذلك شكلت الانتفاضة نقطة البداية لثورة فعلية حقيقية قام بها الشعب الفلسطيني بكل فئاته وفصائله ردّا على ما تعرضوا له منذ سنوات طويلة من ظلم واستبداد واستعباد وانتهاك للحقوق وضياعها.

سجلت شوارع وأزقة المخيمات والقرى والمدن الفلسطينية أروع ملاحم البطولة والتضحية والفداء دون خوف أو تردد، والتزم الكل بالقرارات الموحدة في الإضراب وكل ما يرتبط بسلطات

---

[1] ماضي، شكري عزيز: **كتاب الرواية والانتفاضة نحو أفق أدبي**، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2005، ص41.

[2] ينظر: نصر، محمد: **الانتفاضة بداية أم نهاية**، ص8.

[3] السابق، ص8.

الاحتلال ومواجهتها، فتغلق الأسواق في لحظة واحدة لحظة الإضراب ودون تذكير من أحد، وهذا يعني التزام أطياف الشعب الفلسطيني كافة بفعاليات الانتفاضة[1].

حضرت الانتفاضة في الروايات موضع الدراسة، ومن أهم مظاهر الانتفاضة التي بدت جلية وواضحة: استعدادات البلدة القديمة قبل الاجتياح: ففي رواية **(لغة الماء)** تكمن هذه الاستعدادت في حماية البلدة القديمة وردّ العدوان عنها عن طريق إغلاق كامل مداخلها، ويعبر السارد عن ذلك قائلا: "**الاستعدادات في البلدة القديمة على قدم وساق. حيث تذهب، هناك عشرات الشباب الدائبين على العمل، يضعون المتاريس، السواتر الترابية والرملية**"[2].

وبمساعدة شباب البلدة القديمة والمتطوعين قسمت البلدة القديمة قبل الاجتياح إلى منطقتين شرقية وغربية، وكل منطقة ضمت عددا من الحارات، كما قامت قوات الاحتلال باقتحام البنايات المحيطة بالبلدة واحتجز سكانها في الطوابق السفلية.

أما في رواية **(الفئران)** فقد ركز الكاتب عباس دويكات على اجتياح المخيم، وما قامت به قوات الاحتلال عند مداهمته من إطلاق للرصاص، وإلقاء القنابل الضوئية، فدخلوا المخيم دون مقاومة تذكر حيث خرج رجال المقاومة منه دون إطلاق رصاصة واحدة "**اثنان فقط بقيا في أزقة المخيم يحملان سلاحهما ويصران على القتال حنون والشحتوت**" [3]، وتمركزت بعدها القوات الخاصة على أسطح البنايات العالية، وفُرض حظر التجوال على المخيم.

أما في رواية **(ربيع حار)** فلم يتوقع الفلسطينيون أن يقوم الاحتلال باجتياح المدن والقرى الفلسطينية تباعا، عبّر السارد عن ذلك قائلا: "**من يجرؤ على غزو البلد والفصائل وقوات الأمن والشرطة وقد أضحوا جميعا في وحدة لأول مرة منذ أوسلو وقيام الحكم! من يتجرأ؟**"[4]. ولكنهم سرعان ما تراجعوا أمام تسارع الأحداث وبدء الاجتياح الفعلي والحقيقي لمدن الضفة "**ابتدأ الضرب،**

---

[1] ينظر: نصر، محمد: **الانتفاضة بداية أم نهاية**، ص18-19.

[2] خلف، عفاف: **لغة الماء**، ص6.

[3] دويكات، عباس: **الفئران**، ص151.

[4] خليفة، سحر: **ربيع حار**، ص191.

لكن قبل ذلك قطّعوا الأسلاك والتليفونات والأنتينات والجوال وشبكة الماء والكهرباء والتلفزيون ولم يبق يصلهم بالعالم الخارجي إلا أصداء كلاب تنبح وسط سكون ينذر بالموت"[1].

أما في رواية **(لغة الماء)** فقد أدرك شباب المقاومة أن الجيش يطوقهم من الجهات كافة، مع ازدياد صوت القصف، وإطلاق النيران، ومكبرات الصوت "**مقاوم سلّم نفسك، أتاكم الحساب يا أهل نابلس**"[2]، وتظهر من خلال هذا الاقتباس رغبة العدو الجامحة في الانتقام من أهالي نابلس.

يعبر السارد في رواية **(عودة الموريسكي)** من تنهداته عن بدء الاجتياح لنابلس قائلا: "**جاءت التليفونات من أهلي بأن الدبابات تتمركز على مداخل المدينة وهي تعد بالمئات وربما ضخموا العدد من الرعب**"[3].

الاعتقال سمة بارزة من سمات الانتفاضة، فمنذ بدئها وحملات اعتقال الشباب والأطفال مستمرة، وفي رواية الفئران تطالعنا شخصية (أحمد الملهوف) الذي اعتقل في سجن مجدو بتهمة إلقاء الحجارة، وتقرب لنا صورة المعتقل وما يتعرض له السجين من ممارسات وحشية بشعة.

وتطلعنا رواية **(لغة الماء)**على مظهر الاعتقال وكيف عامل جنود الاحتلال المعتقلين، إذ عاملهم الجنود معاملة سيئة، وعبر (محمد العربي) عن ذلك قائلا: "**لم نعرف من أين تأتينا الضربات..حين وصلنا الخيام، سقطت على الأرض متعثر بمن معي، كتلة من التعب والإرهاق واللحم المرضوض، الأرضية تقطر ماء، المكان ضيق، والروائح كريهة**"[4].

كما عانى (جهاد) الويلات في سجون الاحتلال فتعرض للتعذيب والتحقيق، وعومل معاملة قاسية، إذ عرّوه من ملابسه وهو مقيد، صلبوه وشبحوه، وأذلوه، وأهانوه، وعبر عن ذلك قائلا: "**قتلوا فيّ الإنسان، اقتلعوه من تحت أظافري بالملزمة**"[5]، ضربوه بالهروات وأعقاب البنادق عند اعتقاله،

---

[1] خليفة، سحر: **ربيع حار**، ص105.

[2] السابق، ص96.

[3] عدوان، عدوان: **عودة الموريسكي من تنهداته**، ص112.

[4] عفاف، خلف: **لغة الماء**، ص144.

[5] السابق، ص144.

حتى شعر بأنه عبارة عن كتلة لحم مزرقّة لا قيمة لها، ويعبر عن معاناته قائلا: "**هناك ذقت الذّل لأول مرة، شعرت وكأنني أسقط في الدّرك الأسفل من الإنسانية، تحولت إلى براز يبصق عليه الجنود، يدوسونه. تحول جسدي إلى غربال يقطر الألم مع الدّم، مع العرق، مع الأعصاب. كتلة من هلام، لا تعرف ماذا أنت، ومن أنت**"[1].

يقرر (جهاد) بعد كل هذه المعاناة تنفيذ عملية استشهادية [2]بمساعدة صديقه محمد، وأوصى محمد بخالته التي ربته وأرضعته من حليبها، وتساءل هل ستكون عريب قادرة على مسامحته، عبر لنا جهاد عن مشاعره قي تلك اللحظات قائلا: "**يطالعني الصبح، يخنقني التوتر، إرهاصات اللحظة، تداعب أصابعي أزرار الهاتف مرارا وتكرارا، دون أن تقوى على لفظ الأرقام، أذرع الغرفة بخطواتي، تضيق الجدران على أفكاري، أدور بها، أفتح الباب، وكأن وراءه سماوات أرحب، أعانق الفضاء لحظات، لأعيد إقفال الباب مرة أخرى، وكأن الوقت فضاء لا يحد**"[3]. وينجح (جهاد) في تنفيذ العملية الاستشهادية، وتقبلت عريب نبأ استشهاده بصمت، وتعلقت بأخيها (محمد) أكثر مما مضى، وكأنه يعوضها فقد جهاد في حياتها.

وتكشف لنا رواية (**لغة الماء**) عن مظهر آخر من مظاهر الانتفاضة ألا وهو تعرض المحال التجارية للسرقة تحت أعين جنود الاحتلال ومباركتهم فوالد فاطمة كاد يجهش بالبكاء وهد يحدث عائلته عن فساد الأخلاق فبعض ضعاف النفوس استغلوا الوضع لصالحهم.

---

[1] خلف، عفاف: **لغة الماء**، ص144.

[2] العملية الاستشهادية /الانتحارية: هي نوع خاص جدا من العمليات العسكرية، تتميز بأنها، في الغالب، عملية فردية تطوعية تهدف إلى تدمير الخصم، عن طريق التضحية بحياة منفذ هذا النوع من العمليات في آن واحد. ينبغي التمييز بين نوعين من العمليات الانتحارية: النوع الأول، وتفرضه ضروريات عملياتيه بحتة، تستهدف تدمير أهداف ذات طبيعة عسكرية محددة للعدو، بما في ذلك الضباط والجنود والمعدات والوسائط والمواقع والأهداف العسكرية. أما النوع الثاني، فهو الذي تستهدف فيه العمليات قتل وإصابة أكبرعدد ممكن من المدنيين المواطنين. اشتية، محمد: **موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية**، ص376.

[3] خلف، عفاف: **لغة الماء**، ص145.

وفي الرواية يستشهد (محمد العربي) بطل الرواية، وتعبر عريب عن لحظة تشييعه قائلة: **"لو رأيته يا فاطمة عريسا في يوم الزفاف، نابلس كلها خرجت عن بكرة أبيها لوداعه"**[1].

ومع تصاعد وتيرة أحداث الانتفاضة واستمرار حصار المدن الفلسطينية يتوالى سقوط الشهداء والجرحى فالكل في المدينة يترقب بخوف وحذر، ويبكي وجع هذا اللحظات العصيبة، ووداع الأحبة الذين غيبهم الموت، تعبر (فاطمة) بطلة رواية (لغة الماء) عن شعورها لحظة تلقيها نبأ استشهاد (أسامة) قائلة: **"وميض رسالة في الانتظار، لا شيء سوى أسامة استشهد، اعترتني الرجفة، مزيجا من ارتياح وألم، مع كل حرف كنت أرى خنجرا منغرسا حتى المقبض في لحم محمد، يكوّن من النزف شمعة لتضيء الأحرف بوهج مقدس. ما زال حيا، وانسابت الدّموع رقراقة أبكيهما معا، ماذا أقول له؟ أي كلمات ستكون بلسما لروحه؟ تتقطر عليه نسغا من برد وسلم"**[2].

طلبت (فاطمة) من (عريب) اصطحابها إلى قبر محمد، وعند وصولها حاورته كأنه ماثل أمامها، تحدثت إليه، وشكت إليه ألم لحظاتها ببعده، وفراغ روحها الأبدي بغيابه، خاطبته قائلة: " **تدفعني يدا أختك نحو مقبرتي، نحو نهايتي، وأواصل السير حثيثا حيث أنت، تحدثني ولا أسمعها، وأحدثها ولا أفهم ماهية الكلمات. كل ما أعيه هذا السير الحثيث نحوك، ليتك تقابلني في منتصف الطريق لأعرف أن الموت خذلك، ليت الموت يكون كابوسا سأصحو منه عليك، يا ليتها القيامة لترتد الروح فيك وأراك ماثلا أمامي أكبر من الحياة، أو ليتني كنت الردى لأضمك برفق بين جوانحي في إغفاءتك الأخيرة، أحنو عليك، أهدهدك بأناشيد عرس دائم الحضور، بمراسيم زفاف أبدية"**[3].

ويستمر مسلسل الشهداء فهذا فادي أحد شاب المقاومة يصاب بصاروخ وهو يتسلل عبر أسطح المنازل، عبر (أبو عرب) عن استشهاد (فادي) قائلا: **"صوت صاروخ مزق الفضاء، دوت**

---

[1] عفاف، خلف: **لغة الماء**، ص167.

[2] السابق، ص53.

[3] السابق، 168.

صرخة فادي في أذني، وكأن بيننا إشارة، التصقنا بالأرض جميعا. حين لم تصاحب سقوط الصاروخ أضواء الكشافات، زحفت في اتجاه فادي، كان منكفئا على وجهه"[1].

وهذا (مؤيد) الملقب بمارشال نابلس استشهد إثر اشتباك دار مع قوات الاحتلال، ولم يستطع الشباب استيعاب هذا المشهد، فهو رفيقهم الحنون، صاحب القلب الكبير، خسروا باستشهاده قائدا عظيما مميزا، وأحدث استشهاده فراغا كبيرا في صفوف المقاومة.

وتبرز المقاومة في الروايات كرد فعل طبيعي على ممارسات الاحتلال الهمجية بحق الفلسطينيين، فيدافع الشباب الفلسطيني المقاوم عن مدينته بما توفر له من أدوات وأسلحة بسيطة، ومن مظاهر المقاومة التي ظهرت جلية في الروايات: توزيع الأدوار والأسلحة، ومراقبة تحركات الجيش، وزرع الألغام، وتأسيس المستشفيات الميدانية داخل المساجد، ففي رواية لغة الماء مثلا: استطاعت فرقة أسامة تفجير جيب عسكري.

أما في رواية **(ذاكرة زيتونة)** فوقف المقاومون أمام جنود العدو بصدور عارية مكشوفة دون خوف، وهذا ما عبرت عنه الرواية واصفة لنا الشاب الفلسطيني المقاوم: "**هذا الشاب الذي تراه متواعدا ولا يخلف المواعيد، وموعده ليس مع الحبيب أو الصديق، بل مع العدو، مع القاتل: فيرتدي عريس الحرية، أجمل ما لديه وأغلى ما عنده...رأس مكشوفة...سواعد فتية..وصدر عار..يقابل بها رصاص الدمدم، والقنابل السامة، وصواريخ تقذفها الدبابات والمروحيات. أجمل باقة يحملها بين يديه، ليست ورودا حمراء، بل حجارة بيضاء تتخضب بالدم الأحمر**"[2].

(محمد) صور لنا مأساة المدينة وأطلعنا على صورة البلدة القديمة بعد الاجتياح، أخذ يقلب بصره في الأماكن التي أحبها، وما طرأ عليها من تغرات، اقشعر بدنه لهول ما رأى، لا شيء في المدينة مكانه، البيوت هدمت وسويت بالأرض، وطغى الدمار والخراب على كل الصور، الشوارع مدمرة، الجنود ينتشرون في كل مكان، ورائحة القتل والموت تطغى على المدينة. عبر محمد عن صورة المدينة قائلا: "**أقلب بصري في رحم الأشياء. يقشعر بدني لهول ما أرى، هي المرة الأولى**

[1] عفاف، خلف: **لغة الماء**، ص92.

[2] عبد الهادي، سهاد، **ذاكرة زيتونة**، ص14.

التي تتلمس فيها عيناي ما حدث، الشوارع المبقورة أخرجت أحشاؤها تتلوى، نوافذ المنازل تطبق ستائرها لتغفو على ألم الظلام، جنود عزرائيل في كل مكان، ورائحة الموت تعبق في الجو مزيجا من الدم والبارود والراب الخانق، وكأن مدينتي تحولت إلى مدينة أشباح أو مقبرة"[1].

وعن فقدان المقاومة والحلم المنشود بالتحرر والنصر، وبعد إسدال الستار عن الحقيقة المرّة يقول (محمد العربي): " **نسير والدرب يتبعنا، آلاف العيون تنغرس في الظهر، وتنحني الهامات تعبا على حلم قصفته الخيانة قبل طائرات العدو، صفا صفا بترتيب يليق بجنازة وطن، رجالا يرفعون رايات الذل، وكل خطوة وكأنها الأخيرة في رحلة لا تنتهي**"[2].

تبرز لنا رواية **(لغة الماء)** صورة نابلس خلال الاجتياح حيث تزداد قسوة وظلاما، فالقصف ما زال مستمرا، وقوات الاحتلال تعمل بكل ما أوتيت من قوة، وبكل الوسائل والأسلحة المتاحة لديها من مدافع ودّبابات ورشاشات، فضلا عن القنابل المضيئة التي تسقط بين فترة وأخرى في الليل، كما بينت لنا صورة المدينة والموت الذي أحاط بها، هذا ما عبرت عنه (فاطمة) وهي تصف لنا ما يحيط بها: "**الكهرباء مازالت مقطوعة، والبيوت ترتجف خوفا رغم صمودها الظاهر للعيان. يحشروننا في بيوتنا، نتحرك ضمن مساحات ضيقة، محدودة، فضاؤها إسمنت، وشبابيكها زجاج يردّ الضوء والهواء، وأبوابها حديد يطبق على الأنفاس**[3]".

وعرضت **(لغة الماء)** في موضع آخر كيف توزعت قوات الاحتلال وتحديدا القناصة على أسطح البنايات العالية، وجعلوا من الطوابق العلوية ملجأ لهم، إذ يجمعون سكان البنايات في الطوابق السفلية، ويستخدمون بعضهم دروعا بشرية كي يقوا أنفسهم من إطلاق النار ويعبر السارد عن ذلك قائلا: "**وتبقى المدينة جسدا مكشوفا للألم وتلقي الطّعنات**"[4] وبذلك نستنتج أن الاجتياح

---

[1] خلف، عفاف: **لغة الماء**، ص99.

[2] السابق، ص100.

[3] السابق، ص48.

[4] السابق، ص41.

الأخير على نابلس استهدفها عامدا متعمدا وقصد تدميرها والنيل من تراثها وإرثها الحضاري وانتمائها إلى التاريخ والعراقة[1].

أما (فاطمة) بطلة الرواية فجرحها مشهد المدينة، وعادت للكتابة مجددا لتبعث للأوراق حزنها العميق على أحبتها ومدينتها "**ما زالت مدينتي تغرق في ظلمة موغلة العمق، وكأنها في القلب. وما زلت أتشبث بالمحمول، صلتي الوحيدة بالخارج، أمارس من خلاله الحياة، أحتضنه وكأنه امتداد الدفء في عمري**"[2].

تعبر (فاطمة) عن الوقت الذي يمضي بطيئا جدا في الاجتياح ليتناسب مع الحالة الشعورية التي تعيشها الشخصيات، فأجواء الاجتياح والقصف والدّمار تزرع الرّعب والقلق في النفوس: "**يتمطى الوقت لحظات رعب، وما بين الدّقيقة والأخرى رحلة أعمى بحثا عن منجم أمن في متاهة عجيبة، يدور على عصاه مصطدما بالظلام**"[3]. وفي موضع آخر تصف السّاعات بأنها "**تمضي كسلحفاة أرهقها جري التتابع مع أرنب العمر الذهبي، فتغفو قليلا، ترتاح قليلا، وتسير بأقل القليل،تقترب قليلا من الثامنة**"[4].

أما رواية (**الفئران**) فلم تختلف عن سابقتها حيث سقط المخيم وسقطت معه المقاومة في المدينة ويعبر السارد عن ذلك قائلا: "**فجأة وبعد ساعة من الاجتياح بدأت تظهر صور على شاشة المحطة الفضائية. جنّ النّاس، لم يصدقوا ما يرون. المدافعون عن المدينة يخرجون رافعي الأيدي مستسلمين. خرجوا من بعض الأحواش القديمة قدم التاريخ. خضعوا للتفتيش بصورة مهينة. دققت هوياتهم**"[5].

---

[1] ينظر: الزرو، نواف: **نابلس تتحدى الحصار قصة صمود أسطوري في مدينة جبل النار**، عمان: المكتبة الوطنية، 2004، ص47.

[2] خلف، عفاف: **لغة الماء**، ص64.

[3] السابق، ص62.

[4] السابق، 63.

[5] دويكات، عباس: **الفئران**، ص155.

أما في رواية **(عودة الموريسكي)** من تنهداته فقد طلب الاحتلال من المقاومة بعد إحرازه مزيدا من التقدم الاستسلام والخنوع وساعدهم العملاء في التعرف إلى المطلوبين ليتم اعتقالهم أما الباقون فأطلقوا سراحهم بعد اعتقال دام ساعات.

خلّف الاحتلال في مدينة نابلس الكثير من المآسي والكوارث على صعد شتى، واستهدف نابلس القديمة بميراثها التاريخي والحضاري فترك جراحات يصعب اندمالها. حيث ألحق دمارا بالبنية التحتية، وأسهم في سقوط عشرات الشهداء ومئات الجرحى والأسرى والمعتقلين.

ورغم ما خلفته آلة الحرب والدمار الإسرائيلية وراءها من دمار هائل وأنقاض مروعة، ودماء روت شوارع نابلس القديمة وأزقتها، استطاعت نابلس لملمة جراحها وراح أهلها ينهضون من بين الأنقاض كالعنقاء محاولين مواصلة الحياة والصمود.

مؤلم هو ذلك الوجع الذي تتركه الذكريات، ذكريات الانتفاضة، ذكريات الفاجعة، مؤلم هو قتل الحلم والحب والحياة، هذا ما انتاب الشخصيات الروائية كما الفلسطينيين. ألم الفقد والوحدة، ألم خلفه احتلال غاشم، وظالم لا يوجد في قلبه شفقة أو رحمة على امتداد سنوات طويلة، متى سيتوقف مدّه الذي طال؟ متى ستكف الأم الفلسطينية عن تقديم أبنائها قرابين؟ ومتى سنعانق الحرية؟

الفصل الثالث

حضور العادات والتقاليد في روايات حضور نابلس

الفصل الثالث

حضور العادات والتقاليد في روايات حضور نابلس

امتلكت المأثورات الشعبية دورا مهما في توجيه الفكر الإنساني عبر العصور، وذلك لارتباطها الوثيق بتاريخ الأمة وبالبيئة التي تحتضن هذا التراث وتسهم في بنائه وتشكيله، إن توظيف التراث وما يشمله من عادات وتقاليد ضمن النصوص "**هو توظيف لمنتخبات تاريخية، كل لفظة تراثية هي نافذة نطل منها على حدث ما، أو قضية، وهي (أي لغة التراث) معينات تمثل أهم المواقع كشفا في النص**"[1]. والتراث أحد أهم مقومات الأمم في وجودها واستمرارها، لذلك؛ "**فإن من الضروري توظيف هذا الجانب المهم من حياتنا، توظيفا يتيح التعرف إلى التراث كما يجب، والاطلاع على الفترات المشرقة من الماضي**"[2].

لعب التراث الشعبي دورا مهما في تأكيد هوية الفرد، فتشكلت عن طريقها رؤيتهم إلى الذات الإنسانية، وإلى معنى الانتماء إلى الوطن[3]، فهو "**المخزون الثقافي المتوارث من قبل الأجداد، والمشتمل على القيم الدينية والتاريخية والحضارية والشعبية، بما فيها من عادات وتقاليد سواء كانت هذه القيم مدونة في التراث أم مبثوثة بين سطورها، أو متوارثة أو مكتسبة بمرور الزمن وبعبارة أكثر وضوحا: إن التراث هو روح الماضي وروح الحاضر وروح المستقبل بالنسبة للإنسان الذي يحيا، وتموت شخصية هويته إذا ابتعد عنه، سواء في أقواله أو أفعاله**"[4].

وقد اعتبر توظيف التراث الشعبي بما اشتمله على عادات وتقاليد في النصوص الأدبية ظاهرة بارزة الحضور لا سيما في النصوص الروائية حيث بدت الساحة النقدية تمتلئ بهذا الحضور الذي أجبر دارسي الأدب على إعطاء التراث عناية خاصة لما يحمله من رموز ذات

---

[1] جبر، يحيى، وحمد، عبير: **حضور المأثورات الشعبية في أعمال سحر خليفة**، 2009.

[2] السابق.

[3] ينظر: ناووي، يوسف: التراث الشعبي من إعادة الحكاية إلى هجنة الكتابة في الرواية المغربية، ثقافات، 29/يوليو/2016. Thaqafat.com2016/07/32319

[4] الجابري، محمد عابد: **التراث والحداثة**، الدار البيضاء: المركز الثقافي، 1992، ص14.

معان ودلالات عميقة [1]. ويعتبر التراث مدخلا لتفسير العادات والتقاليد الموروثة فينفض عنها غبار الزمن ويمنع نسيانها أو اندثارها مع مرور الوقت لكونه يحفظ العادات والتقاليد بما اشتملت عليه من مسكن وملبس ومشرب[2].

والتراث الشعبي لا يتوقف عند هذا الحد بل إنه يشكل المستودع الذي يستمد منه الإنسان الكثير من البواعث والمنطلقات الحضارية والنفسية والروحية التي تحفز طاقاتنا ومواهبنا الجديدة لتصب في مجرى الإبداع الذي يرفع طاقات الحاضر دافعة بالإنسان إلى الإبداع في المستقبل من أجل ضمان بقائه واستمرار حياته[3].

وبذلك إن التراث الشعبي يشكل بطاقة تعريف لأي شعب من الشعوب فمن خلاله تستطيع فهم مدى ثقافة هذا الشعب، كما أنه نتاج التأثر والتأثير المتبادلين بظروف البيئة حيث يعكسها في شكل مادي كاللباس والأواني أو قولي مثل الغناء الشعبي أو الرقص الشعبي[4].

لقد شكلت العادات والتقاليد جزءا مهما في حياة المجتمع الفلسطيني حيث بلورت هويته التاريخية والحضارية على مر العصور، فالمجتمع بدون عادات وتقاليد توجهه كالجسد بلا روح، لا فائدة ترجى منه. أطلعنا البحث على أهم العادات والتقاليد التي اشتهرت بها مدينة نابلس، من لباس شعبي، وأكلات شعبية، وعادات درج الناس عليها، وموقف المجتمع من المرأة العاملة والمطلقة، وغيرها من العادات الاجتماعية الأخرى.

وكباقي المجتمعات مارس السكان في نابلس الكثير من العادات والتقاليد التي توارثوها عن أجدادهم، ورغم كثرة تلك العادات وتنوعها إلا أننا سنقتصر على إيراد أهم ما ورد في رواية نابلس

---

[1] ينظر:، مزياني، أسمهان: **التراث الشعبي في رواية " سيد الخراب لـ: كمال قرو**، رسالة ماجستير منشورة، جامعة محمد خيضر_بسكرة، الجزائر، 2015_2016، ص16.

[2] ينظر: الزيتاوي، محمود عبد الحفيظ: **إضاءات من التراث الفلسطيني سنديانة جبل النار زيتا أم الكروم والجماعينيات**، ط1، عمان: دار عمار للنشر والتوزيع، 2005، ص15.

[3] عثماني، بولرباح: **دراسات نقدية في الأدب الشعبي**، ط1، الجزائر: الرابطة الأدبية الشعبية لاتحاد الكتاب الجزائريين، 2008، ص13.

[4] ينظر: مزياني، أسمهان: **التراث الشعبي في رواية " سيد الخراب" لـ: كمال قرو**، ص19.

من عادات وتقاليد سادت المجتمع النابلسي، ففي رواية **(نابلس الجمر والرماد)** ظهرت العادات التي انتشرت في مدينة نابلس في أواخر العصر العثماني، إذ لبست المرأة النقاب الذي غطى وجهها وتحته (البونيل) المعقود فوق الرأس، وارتدت المرأة المسلمة في نابلس الملابس الفضفاضة ذات الأكمام الطويلة الواسعة[1]، فهذا (سعيد) أحب مريم ابنة الحاج (رشاد الليموني) " **أحس بعينيه تحتضنان كل ما فيها، وتسقطان النقاب السميك الذي يخفي وجهها ولا تظهر منه إلا عيناها الواسعتان تتحدثان إليه بغير لغة**"[2]، وارتدى الرجال القنابيز والطرابيش والعمائم، ولفوا في فصل الشتاء الحطة السميكة حول رقابهم كي يشعروا بالدفء.

شرب الأراجيل[3] في مدينة نابلس عادة شائعة وما زالت حتى يومنا هذا، وربما أصبحت اليوم أكثر انتشارا، وجدت الأراجيل في المقاهي مثل مقهى الشيخ قاسم وكذلك في البيوت، تسمع صوت قرقرتها منتشرا في كل مكان.

عرفت الشعبونية عند أهل نابلس في شهر شعبان فيعزم كبير الأسرة أقاربه على طعام الغداء قبل شهر رمضان ويحضر لهم الحلوى، وهي عادة شائعة منذ العهد التركي، ظهرت الشعبونية في رواية نابلس الجمر والرماد من خلال شخصية (أبي الأمين) الذي اشترى الطعام وأرسله للبيت، وهو عبارة عن (معلاق) خاروف وحواشيه، وأوصى على صدر كنافة "**الشعبونية عند أهل نابلس عادة وتقليد أقوى من القانون... وهي من العادات التي يحبونها ويحافظون عليها...يتجمع أرحامهم ورجالهم، يتناولون طعامهم، يلعب صبيتهم، تغني نساؤهم، ترقص فتياتهم، يتسامر رجالهم...وهو قد حسب حساب اليوم قبل شعبان بأشهر، ادخر، قتّر على نفسه، اقتطع من قوته...ما أن هلّ شعبان حتى كان مطمئنا إلى أنه أعد العدة وتجاوز مأزق الاستدانة**"[4].

---

[1] ينظر: العرة، رئيسة: **نابلس في العصر المملوكي 648_923هـ (1250_1517م)**،، رسالة ماجستير منشورة، ص58.

[2] أبو غضيب، هاني: **نابلس الجمر والرماد**، ص87.

[3] النارجيلة (وتسمى أيضا الأرجيلة أو الشيشة) وهي أداة يدخن بها التبغ، وكانت قاعدتها في الأصل من جوز الهند، ثم اتخذت من الزجاج ونحوه. **المعجم الوسيط**: ط4، مكتبة الشروق الدولية، 2004، ص912.

[4] أبو غضيب، هاني: **نابلس الجمر والرماد**، ص151-152.

انتشرت الكثير من العادات الاجتماعية في رمضان في مدينة نابلس كقيام الرجال بعد صلاة العصر بالتجول في أسواق البلدة القديمة مثل أبي الأمين الذي قام بهذه العادة منذ طفولته حتى الآن، فضلا عن أنواع الحلويات التي تباع في الأسواق، كما وجد مدفع تركي نصبه المتصرف في ساحة خالية قرب المحطة.

ومن الظواهر الاجتماعية السائدة في تلك الفترة ظاهرة القبضاي، إذ لكل حارة من حارات البلدة القديمة قبضاي معتمد، احتل مكانته الخاصة في المجتمع النابلسي، طبعا بعد أن يثبت جدارته في الميدان وينتصر، فيحصل بعدها على لقب القبضاي، فالأمين مثلا أصبح قبضاي حارة القيسارية، "**كان القبضايات يفخرون بألقابهم ومناصبهم..ولا غرو فالناس يفزعون إليهم لحل إشكالات استعصت على الحل..وفض نزاعات طال عمرها..وحسم معارك أرهقت أبطالها**"[1]، وقد نجحت ظاهرة القبضاي في حل كثير من النزاعات، وأحدثت توازنا بين حارات البلدة القديمة الكبرى.

ومن الظواهر الاجتماعية المنتشرة في نابلس في الفترة العثمانية ظاهرة الحكواتي، فقد انتظره الناس في القهوة بكل شغف كي يستمعوا لحكاياته المسلية، فهو متنفسهم الوحيد ينفثون فيه همومهم، ويروحون عن أنفسهم. وحظيت مهنة الحكواتي بشعبية كبيرة جعلتها جزءا من التراث الشعبي في البلاد التي انتشرت فيها، وإن الحكواتي مهنة انتهت بانتفاء الحاجة إليها مع مرور الوقت وفي ظل التقدم التكنولوجي، فقد كانت وسيلة تسلية جماعية وفي الوقت نفسه وسيلة تثقيف وترسيخ للقيم والأخلاق التي تحلى بها أبطال القصص والروايات التي كان يسردها الحكواتي.

الناس في تلك الفترة تعالجوا عند العطارين، نظرا لعدم وجود الأطباء المتخصصين في نابلس ولم يكن وعي الناس قد نضج لكي يمهد طريقهم إلى المستشفى الجديد، وبسبب سذاجة الناس وبساطتهم اعتمدوا على الطرق التقليدية والقديمة في العلاج رغم خطورتها وعدم فائدتها في كثير من الأحيان، فالحارات الشرقية في نابلس ومنها حارة القيسارية تداوى أهلها عند حلاق بارع واشتهر بالطب العربي، (الأمين) قبضاي حارة القيسارية تعالج عند هذا الحلاق بالكَيّ.

[1] أبو غضيب، هاني: **نابلس الجمر والرماد**، ص64.

وفي الفترة العثمانية كانت الخلافات العائلية سمة بارزة من سمات المجتمع النابلسي حيث تخاصم الناس على أتفه الأسباب، مثل زوج منيرة ابنة أبي الأمين، فقد راح زوجها في لحظة غدر وبدون ذنب جراء خلاف عائلي مع ابن عمه عمر حول درج يتوسط بيتهما، وطعنه بسكين حاد فارق على إثرها الحياة وترك امرأة في عمر الورد أرملة مع طفليها الصغيرين حسن وشفيقة.

ومن الأكلات الشعبية المعروفة في مدينة نابلس وتحديدا في شهر نيسان من كل عام أكلة العكوب[1] "**وهو نوع من الخضرة البرية يحبه النابلسيون ويقدمونه في ولائمهم لأعز أحبابهم**"[2]، فقد عكبت (فيروز) العكوب، ونزعت الأشواك عنه، وغنت الأغاني الشعبية الخاصة بموسم العكوب قائلة:

"**أجيت أعكب عكوبة**

قرصتني براسي اللبلوبة

يابا طوري وبلدي هالعكوب

***

العكوب أكلة نيسان

وعروقه بتحيي الإنسان

يابا طوري وبلدي هالعكوب"[3].

عبرت (فيروز) في هذه الأغنية الشعبية عن موسم تعكيب نبات العكوب، وتتحدث عن طراوته فهو في أول الموسم أفضل من نهايته، إذ يصبح العكوب غير طري. وتطلعنا على فوائد

---

[1] العكوب: بقلة شائكة وقوية الجذور. ينظر: لوباني، حسين علي: **معجم النبات في التراث الشعبي الفلسطيني**، ط1، بيروت: مطبعة لبنان وناشرون، 2009، ص142.

[2] أبو غضيب، هاني: **نابلس الجمر والرماد**، ص251.

[3] السابق، ص252.

هذه النبتة البرية، سلّت فيروز نفسها بهذه الأغنية الشعبية أثناء التعكيب؛ لأن التعكيب متعب، ويأخذ الكثير من الوقت في نزع الشوك عنه.

أطلعتنا شخصية حيدر على عادة اجتماعية نابلسية معروفة، ألا وهي انغلاق أهل نابلس على أنفسهم، وامتناعهم عن الانفتاح على البيئة المحيطة بنابلس حتى في موضوع تزويج بناتهم من خارج المدينة، فهذا حيدر عشق فيروز ابنة الحاج أبي الأمين، وهو غريب عن مدينة نابلس ووالده فايز الأسمر أحد أكبر السماسرة في منطقة شمال فلسطين وتحديدا عكا، قدم إلى مدرسة النجاح طلبا للعلم، ووقع في حب فيروز رغما عن إرادته، وخشي من رفض العائلة له بسبب والده ولكونه غريبا عن المدينة، فعبر عن صورة أهل نابلس قائلا: " **أهل نابلس لا يقبلون..ليس هناك دخيل واحد استطاع أن يخترق جدرانهم أو أن يتسلل إلى أحواشهم، بلدهم بقي عصيا على الدخلاء..وفيروز نابلسية الانتماء، ابنة شيخ تعلوه سمات الشموخ، وشقيقة رجال شرفاء أشداء...**"[1].

عرضت رواية (**ربيع حار**) من خلال أحداثها للعديد من العادات الاجتماعية السائدة في مدينة نابلس، فالأولاد منذ صغرهم يخرجون للعمل في الشوارع، يبيعون ما تيسر لهم مهما كان مستوى أهلهم المادي، ويعتمدون على أنفسهم حتى يصلب عودهم وتقوى شخصياتهم وما زالت هذه العادة شائعة حتى يومنا هذا[2].

وأطلعتنا الرواية على صورة العائلة الفلسطينية قديما ومدى خوف الأبناء من والدهم، فقد حرم الأب أبناءه من الطعام إذا اقترفوا أدنى غلطة من خلال عرض شخصية (فضل القسام) وحديثه عن والده وكيف عامله وهو صغير، الذي جاب وهو صغير الحارات والشوارع بعد اللجوء وتغير حالهم من العز والجاه في مدينة حيفا، حيث امتلكوا محلا لبيع أفخر أنواع السجاد وأجوده.

وتظهر قضية صراع الأجيال جلية واضحة في رواية ربيع حار، الصراع الأزلي بين القديم والجديد، الآباء والأبناء، من خلال الفرق بين شخصية (أحمد ومجيد) ووالدهما، وهذا ما عبر عنه

---

[1] أبو غضيب، هاني: **نابلس الجمر والرماد**، ص255.

[2] خليفة، سحر: **ربيع حار**، ص14.

الوالد في الرواية واصفا أحمد بالخرقة من شدة الدلع والدلال، ومجيد صار مخنثا بسبب الموسيقا والجيتار وهو الأب ابن جيل النكبة تربى على الفقر والثورة وحرب فيتنام.

الفرق بين جيل الماضي وجيل اليوم كبير جدا، فجيل الماضي اعتمد على نفسه في كل شيء، بينما جيل اليوم أخلاقه مائعه وفاسدة رغم امتلاكه كل ما يحتاج، وباستطاعة هذا الجيل إجبار الأهل دون خوف، والحصول على ما يريدون دون قلق أو مراعاة لظروفهم، فهذا مجيد يطلب من والده ملابس جديدة وحذاء جديدا بسبب دخوله مسابقة غناء في الأسبوع المقبل.

أبرزت الرواية موقف بعض الشباب ونظرتهم للفتيات اللواتي يرتدين اللباس الضيق، ويحملن الكتب، ويذهبن للجامعة، فهن ينظرن للناس بفوقية وتعالٍ، ويصفهن عيسى قائلا: "**عليهن منافس كالخنافس، ومنفوخات كالبالون**"[1].

كما أظهرت الرواية موقف المجتمع من الفتاة غير المتزوجة، وينعتها بالعانس، وأنها ستبور رغم كل ما يحيط بها، ورغم نجاحها في حياتها اليومية، فهذه سعاد خرج والدها من السجن ولم تكن قد تزوجت بعد، ونعتها بهذه الصفة، مقابل الأم الحانية التي تمتلك الحضن الدافئ وتقدم النصيحة لابنتها، وتطلب منها ألا تستعجل وتفكر بالزواج بعقلها لا بقلبها، لأنها أرادت لابنتها حياة أفضل من الحياة التي عاشتها تربي الأولاد، وتنتظر خروج الزوج من السجن[2].

ومن خلال والد (سعاد) يتضح لنا أن نظرة المجتمع إلى المرأة لم تتغير وإنما بقيت بصورتها النمطية المتوارثة: "**يا بنتي الوحدة ما إلها إلا زوجها. الستر مطلوب وانت كبرتي ولازم لك عريس وبيت وأولاد ورجل يرعاك ويرعى حياتك**"[3]، وفي موضع آخر يقول: "**البنت تبور وتصير عانس! إذن هكذا! هذا هو الوصف: عانس ومستورة وظل رجل. حتى أبوها، خريج السجن المتقدم يقول هذا، ماذا عن الناس؟**"[4].

---

[1] خليفة، سحر: **ربيع حار**، ص177.

[2] ينظر: السابق، ص306.

[3] السابق، ص305.

[4] السابق، ص306.

عرضت رواية **(حبات السكر)** لقضية مهمة، وهي نظرة المجتمع الذكوري للمرأة المطلقة فهو لا يرحمها، ويعاملها كأنها امرأة ناقصة ومنبوذة، ولا يعطيها فرصة للدفاع عن نفسها في وسط مجتمع ذكوري لا يرحم.

فوالد أميمة عامل الأم وبناتها معاملة قاسية مليئة بالضرب والصراخ والخوف لكونه يريد مولودا ذكرا يحمل اسمه، فألقى جام غضبه على زوجته وبناته، واللاتي يمثلن نموذجا مصغرا لعائلات فلسطينية كثيرة عانت هذه المعاناة، ووقعت ضحية المجتمع الذكوري السلطوي القاسي.

وفي رواية **(لغة الماء)** طالعتنا شخصية الجدة نموذجا للمرأة المكافحة الصابرة على متاعب الحياة فقد هجرت وهي صغيرة في السن، وفقدت كل ما تملك، وشعرت بالفاقة والعجز، وتحملت وحدها عبء إعالة طفل صغير "**في مجتمع لا يكتفي بعقد حاجبيه لخروج المرأة للعمل**"[1].

أطلعتنا رواية **(عودة الموريسكي من تنهداته)** على ميزة تميز بها رجال نابلس، ألا وهي الصلع في وسط الرأس حتى المقدمة "**ويعزى ذلك كما تقول الخرافة الشعبية إلى أن عوج بن عناق، العملاق الطويل الذي كانت رجلاه تنتقلان من جبل إلى جبل، بال فوق مدينة نابلس، فطرطش بوله رؤوسهم، وكل قطرة جاءت على رأس رجل منهم خلت فيه وفي نسله صلعا**"[2].

---

[1] خلف، عفاف: **لغة الماء**،، ص10.

[2] عدوان، عدوان: **عودة الموريسكي من تنهداته**،، ص30.

وقفت الرواية على جزء من عادات وتقاليد الطائفة السامرية[1] في مدينة نابلس فهم في العيد يجتمعون على قمة جبل الطور (جرزيم) ؛ ليحتفلوا بعيدهم ويرتدون اللباس الأبيض، وعبر سامر أحد شخصيات الرواية السامرية عن العيد قائلا: "**ومن شروط هذا العيد أن يقدم كل منا خروفا ذكرا عمره سنة واحدة، نذبحه بنحرة واحدة فقط، ونضعه في حفرة كبيرة ليتم شواؤه، ونأكل منه ما نأكل، ثم نحرق ما تبقى حرقا كاملا، حتى تصل رائحته وأبخرته إلى السماء ويرضى عنا الرب وسط تراتيل كافة الحاضرين**"[2].

عرضت رواية **(ذاكرة زيتونة)** لمظاهر العيد في مدينة نابلس وقد احتفل المسلمون في هذا المجتمع وهم الأغلبية بعيد الفطر والأضحى اللذين جاءت بهما الشريعة الإسلامية وذلك بدءا من السنة الثانية للهجرة[3] وفيما بعد ابتدعت أعياد ومواسم دينية كثيرة منها عيد رأس السنة الهجرية والمولد النبوي وعاشوراء والعاشر من محرم وغير ذلك من المناسبات الدينية[4] ومن مظاعر العيد التي ذكرتا الرواية: صلاة العيد، وزيارة المقابر، وعائلات مصابي الانتفاضة. وكباقي الأطفال اشترى أطفال نابلس في العيد ما هو ضروري من اللباس بسبب ظروف الناس الصعبة.

---

[1] الطائفة السامرية جماعة من اليهود اشتق اسمهم من السامرة عاصمة مملكة إسرائيل القديمة التي كانت تقع إلى الشمال من شكيم (نابلس). وهم الجماعة الباقية من يهود مملكة إسرائيل الذين لم يرحلهم الغزاة الأشوريون مع من رحل من اليهود عام 721 ق.م. وقد تزاوجوا مع المستوطنين الجدد الذين جاء بهم الأشوريون. وحينما رجع اليهود من السبي البابلي رفضوا إشراك يهود السامرة معهم في إعادة بناء الهيكل، فأنشأ هؤلاء في القرن الرابع قبل الميلاد هيكلهم الخاص على قاعدة جبل جرزيم (الطور). ورغم كون السامرية طائفة يهودية فإن هناك فجوة عميقة من الخلافات الدينية تفصلهم عن بقية اليهود، وهم لايتزاوجون إلا من طائفتهم التي تعد الآن من أصغر الطوائف بالعالم، يقطن أكثرهم في نابلس ومستعمرة حولون في مقاطعة تل أبيب، يستعملون العبرية في صلواتهم، ولكن لغة الحوار بينهم بالعربية، وبحوزتهم ترجمة عربية للتوراة يعود تاريخها إلى القرن الحادي عشر أو الثاني عشر للميلاد. سن اليهود قوانين تحرم الاختلاط بهم أو الزواج منهم، وهم يعيشون الآن في شبه عزلة. وفي عيد الفصح يصعدون إلى جبل جرزيم ويؤدون شعائرهم الدينية الخاصة بالعيد على قمة الجبل، وينحرون الأضاحي في وقفة عيد الفصح على مذبح خاص بجرزيم. ينظر: التطيلي: **رحلة بنيامين**، ط1، ت: عزرا حداد، دراسة وتقديم: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، أبو ظبي: المجمع الثقافي، 2002، ص96. ينظر: **الموسوعة الفلسطينية**، ط1، م2، دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984، ص529_530.

ملاحظة: السّامريون لا يعدون أنفسهم يهودا وإنما هم سامريون.

[2] عدوان، عدوان: **عودة الموريسكي من تنهداته**، ص29.

[3] القلقشندي، أبو العباس: **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**: ج2، دار الكتب المصرية، 1922، ص444.

[4] ينظر: العرة: رئيسة: **نابلس في العصر المملوكي 648_923هـ**، ص60.

أما **(رواية حجارة)** الألم فتحدثت عن أكلة شعبية اشتهرت بها فلسطين وهي المسخن، أكلة شعبية فلسطينية تصنع من الخبز والبصل المقلي بالزيت ثم يزين الخبز بعد فرد البصل عليه بالسماق واللوز ويقدم الدجاج مع هذا الطبق الشعبي الفلسطيني، وظهرت في عائلة أبي علي عادة اجتماعية سائدة في العائلات الفلسطينية وهي عدم إجلاسها الذكور والإناث على مائدة واحدة مع غرباء.

وبذلك تكون الباحثة قد أطلعت القارئ على أهم العادات والتقاليد السائدة في المجتمع النابلسي في الروايات موضع الدراسة من اللباس السائد عند الرجال والنساء، وطقوس العيد، وبعض الأكلات الشعبية، وطقوس شهر شعبان ورمضان، وموقف المجتمع من المرأة المطلقة والأرملة وغير المتزوجة وغيرها من العادات الأخرى.

الفصل الرابع

الشخصيات في روايات حضور نابلس

الفصل الرابع

الشخصيات في روايات حضور نابلس

تعتبر الشخصية الروائية عنصرا مهمّا وأساسيا في بناء الرواية، إذ لا يمكن للكاتب فصلها عن بقية العناصر، فهي تساعد الكاتب في بلورة أفكار الرواية من خلال سلوكياتها داخل النص، إضافة لدورها في تطوير وتنمية أحداث الرواية، فهي تضفي عليها نوعا من التشويق والإثارة، وهذا ما يجعلها تحتل أهمية كبيرة في الرواية، وقد أولاها الدارسون اهتماما خاصا رغم اختلافهم في تحديد مصطلح عام لها، وتباينت آراؤهم في تعريفها وفقا لرؤاهم النقدية، ومن بين هذه الآراء:

1- رأي فلاديمير بروب اعتمد هذا الناقد في دراسته للشخصية على الوظائف، فهو يرى أن صفات الشخصية لا تحدد الشخصية الروائية، وإنما ما يحددها هو الوظائف الأفعال التي تستند إليها داخل النص، وقد عبر عن ذلك قائلا: "**إن ما هو مهم في دراسة الحكاية هو التساؤل عما تقوم به الشخصيات، أما من فعل هذا الشيء، أو ذاك، وكيف فعله. فهي أسئلة لا يمكن طرحها إلا باعتبارها توابع لا غير**"[1].

2- أما غريماس فقد قدم بتعريفه وجها جديدا للشخصية في السرد، وهو ما يمكن الاصطلاح عليه بالشخصية المجردة، فعنده ليس ضروريا كون الشخصية شخصا واحدا، وليس ضروريا كونها شخصا أي (إنسان). فقد تكون الشخصية فكرة تعبر عن شيء معنوي غير محسوس أو مرئي كالدهر، أو التاريخ، ويمكن للشخصية أن تكون جمادا، أو حيوانا[2].

---

[1] لحمداني، حميد: **بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي**، ط3، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، 2000، ص23-24.

[2] ينظر: صحراوي، إبراهيم: **تحليل الخطاب الأدبي**، دراسة تطبيقية، الجزائر: دار الآفاق، 1999، ص154.

3- ويذهب تودوروف في تعريفه للشخصية إلى اعتماده على اللسانيات، فهو يعرف الشخصية قائلا: "**إن قضية الشخصية الروائية هي قبل كل شيء قضية لسانية، فالشخصيات لا وجود لها خارج الكلمات، لأنها ليست سوى كائنات من ورق**"[1].

4- أما فيليب هامون فقد وضع تصورا شاملا لمفهوم الشخصية وآليات بنائها، والشخصية في نظره أشمل وأوسع من كونها شخصا إنسانيا[2]، فقد درس (سيميولوجية) الشخصية، وهو يتبنى "**التصور اللساني الذي ينظر للشخصية على أنها عبارة عن ملفوظ لغوي، لا يشترط صفة الإنسانية**"[3].

وبذلك نكون قد وقفنا عند أهم التصنيفات التي ركز عليها الباحثون في دراسة الشخصية، بسبب كون دراسة الشخصيات من أهم الدراسات التي شغلت الكثير من الباحثين والدارسين، حيث كان لكل ناقد أسلوبه الخاص في تعريف الشخصيات ودراستها.

أنواع الشخصيات

تعد الشخصيات من المحاور الرئيسة في الرواية، إذ تبعث فيها الروح وتعطيها الحياة، وتسهم كذلك في نقل الحدث وإيصال الفكرة للمتلقي، لذلك على الكاتب أن يحاول جاهدا بناء شخصيات تتمتع بالحركة والتطور والنمو، لتكون قادرة على جذب انتباه القارىء وإمتاعه وتشويقه، فالرواية تشكل بما تشتمل عليه من عناصر مرآة يعكس الكاتب عبرها آراءه ومعتقداته ومفاهيمه الخاصة، وربما يستخدم الكاتب شخصياته كوسيلة يعبر بها عن ذاته بطريقة عفوية وغير مباشرة، فتكون نافذته التي يطل منها على العالم بذكائه وفطنته.

ومن حيث أنواع الشخصيات، فيمكن تصنيفها بناء على عاملين أساسين، أولهما: تصنيف الشخصية حسب مشاركتها ومدى ارتباطها بأحداث الرواية، فقسّمت على أساسه إلى شخصية رئيسة "أساسية" و"**هي التي تقود الفعل وتدفعه إلى الأمام، وليس من الضروري أن تكون**

[1] تودوروف، تزفيطان: **مفاهيم سردية**، تر: عبد الرحمن مزيان، ط1، منشورات الاختلاف، 2005، ص71.

[2] ينظر: هامون، فيليب: **سيمولوجية الشخصية الروائية**، تر: سعيد بنكراد، ط1، سوريا: مكتبة النقد الأدبي، ص24-26.

[3] أبو شهاب، رامي: فيليب هامون وسميولوجية الشخصيات الروائية، القدس العربي، 19/سبتمبر/2017. http://www.alquds.co.uk/?p=792670

الشخصية الرئيسية بطل العمل دائما ولكنها هي الشخصية المحورية، وقد يكون هناك منافس وخصم لهذه الشخصية"[1]، وهي كذلك ذات حضور كبير في العمل الروائي، إذ تسند إليها "**وظائف وأدوار لا تسند إلى الشخصيات الأخرى، وغالبا ما تكون هذه الأدوار مثمنة (مفصلة) داخل الثقافة والمجتمع"**[2]. و أمّا الشخصية الثانوية فتمارس أدوارا قليلة، إذا قورنت بأدوار الشخصية الرئيسة " **فهي التي تضيء الجوانب الخفية للشخصية الرئيسية"**[3]، ورغم أنها لا تحظى باهتمام كبير، إلا أنها تبقى عنصرا مهما في الرواية لا يمكن الاستغناء عنه.

ويبدي محمد غنيمي هلال رأيه في الشخصية قائلا:...إذا كانت الشخصيات ذات الأدوار الثانوية أقل في تفاصيل شؤونها، فليست أقل حيوية وعناية من القاص وكثيرا ما تحمل الشخصيات آراء المؤلف[4]، وبذلك فإنها لا تقل أهمية عن الشخصية الرئيسة في الرواية.

والعامل الآخر للشخصية هو تصنيفها حسب تطورها، فقسمت على أساسه إلى شخصيات متحركة" نامية"، وثابتة "مسطحة"، وأما الأولى فهي التي تتطور باستمرار مع أحداث الرواية، ويعرفها محمد يوسف نجم: "**هي التي تتكشف لنا تدريجيا وتتطور بتطور حوادثها ويكون تطورها ظاهرا أو خفيا"**[5]، وهي قادرة على مفاجئتنا بعمل جديد وبشكل مقنع[6] وبذلك يمكن القول إن الشخصية المتحركة تعتمد على عنصرين أساسين، هما: المفاجأة والإقناع لإثبات دورها، وأما الشخصية الثابتة "**فهي التي تتفاعل بشكل بسيط مع الأحداث، ولا تتطور مع تطور أحداث**

---

[1] زعرب، صبحية عودة: **غسان كنفاني: جماليات السرد في الخطاب الروائي**، عمان: دار مجدلاوي، 2006، ص131، 132.

[2] بو عزة، محمد: **تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم)**، ط1، الجزائر: دار الاختلاف، 2010، ص53.

[3] زعرب، صبيحة عودة: **غسان كنفاني: جماليات السرد في الخطاب الروائي**، ص132.

[4] ينظر: هلال، محمد غنيمي: **النقد الأدبي الحديث**، ط6، القاهرة: شركة نهضة مصر، 2005، ص533.

[5] أحمد، نادر عبد الخالق: **الشخصية الروائية بين علي أحد باكثير ونجيب الكيلاني " دراسة موضوعية وفنية"**، ط1، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، 2010، ص35.

[6] ينظر: السابق، ص35.

الرواية، وهي التي تبنى حول فكرة واحدة لا تتغير طوال الرواية وتفتقد الترتيب ولا تدهش القارئ أبدا بما تقوله وبما تفعله"[1]، وهي بذلك لا تتطور ولا تسهم إسهاما كبيرا في بناء العمل الروائي.

وللشخصية الروائية أبعاد تقوم عليها، وهي البعد الخارجي "الجسمي"، والبعد الداخلي"النفسي"، والبعد الاجتماعي، والبعد الفكري، وتفصيلها كالآتي:

1- **البعد الخارجي:** يشتمل هذا البعد على "**المظهر العام للشخصية وملامحها وطولها وعمرها ووسامتها ودمامة شكلها وقوتها الجسمانية وضعفها**"[2]، ولهذا البعد أهمية كبيرة في تفصيل ملامح الشخصية سواء أكان ذلك بطريقة مباشرة أو بطريقة غير مباشرة[3]، كما أنه يجعل الشخصية أكثر وضوحا وفهما بالنسبة للمتلقي.

2- **البعد النفسي:** يحتوي هذا البعد على الجانب النفسي للشخصية ليعكس لنا حالتها النفسية وما يواجهها من صعوبات في الحياة، ويقف على أحوالها الفكرية والنفسية، ويعد من الأبعاد المهمة في الرواية، حيث يتعاون كل من الحوار والحدث والصراع على إظهار هذا البعد، وليسلط الضوء على أعماق الشخصية النفسية[4].

3- **البعد الاجتماعي:** ويهتم هذا البعد في تقديم الشخصية وتصويرها، ويقف بذلك على علاقة الشخصية بغيرها من الشخصيات، وعلى مكانتها الاجتماعية ووضعها الاجتماعي، وعلى محيطها الخارجي وعلاقتها بالشخوص الأخرى، وهو بعد متعدد الجوانب.

---

[1] فتحي، إبراهيم: **معجم المصطلحات الأدبية**، تونس: المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، 1986، ص212.

[2] الجبوري، عبد الكريم: **الإبداع في الكتابة والرواية**، ط1، دمشق: دار الطليعة الجديدة، 2003، ص88.

[3] ينظر: مرشد، أحمد: **البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله**، ط1، لبنان: دار فارس، 2005، ص67.

[4] ينظر: الموسى، خليل جريس: **التحولات النفسية الذهنية في الشخصية الروائية**، مجلة المعرفة، ع395، 1996، ص110.

4- **البعد الفكري:** ويقف هذا البعد على الأبعاد الفكرية للشخصية والمتمثلة بالأفكار السياسية والدينية التي يتمثلها الإنسان، والقيم والاتجاهات التي يدافع عنها[1]، أي مدى انتماء الشخصية إلى عقيدتها وهويتها وتكوينها الثقافي، وما لهذه العوامل من تأثير في سلوكها ورؤيتها، وتحديد لمدى وعيها وموقفها من القضايا العديدة[2]، ولهذا البعد أهمية كبيرة على المستوى التكويني للشخصية "**إذ تعد السمة الجوهرية لتميز الشخصيات بعضها عن البعض الآخر**"[3].

أ- الشخصيات في روايات حضور نابلس

ستكتفي الباحثة في هذا الفصل بالحديث عن نماذج بارزة في الروايات ذات الصلة، ثمثل أبعاد الشخصيات المذكورة في أول الفصل.

ففي رواية **نابلس الجمر والرماد** سلّط هاني أبو غضيب في روايته الضوء على مجموعة كبيرة من الشخصيات الرئيسة، ومنحها اهتماما خاصا من خلال عرض الأحداث، فتوغل لمكنوناتها الداخلية وعبر عن مشاعرها بدقة، ووضح مدى تأثيرها وتأثرها بمجريات الأحداث، وبذلك أعطى مجالا للشخصيات لتعبر عن الأزمة الخانقة التي عاشتها المجتمعات العربية في ظل حكم العثمانيين الظالم، وما ساد مجتمعاتهم من فقر وجوع وظلم وقهر. فالقارىء للرواية يتفاعل مع شخصياتها ويشعر كأنه عاش معها معاناتها، وكأنه جزء لا يتجزأ من هذا المجتمع. ولم تهمل الرواية الشخصيات الثانوية بل أسهمت جنبا إلى جنب مع الشخصيات الرئيسة في بناء أحداث الرواية والتأثير على مجرياتها، كما سيظهر عند الحديث عنها.

---

[1] ينظر: فتاح، عبد الرحمن علي: ***تقنيات بناء الشخصية في رواية ثرثرة فوق النيل***، جامعة صلاح الدين، **مجلة كلية الآداب**، ع 102، ص52.

[2] ينظر: حمدان، عبد الرحيم حمدان: **بناء الشخصية الرئيسية في رواية (عمر يظهر في القدس) للروائي نجيب الكيلاني**، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، 2011، ص 128.

[3] السعدون، نبهان: ***الشخصية المحورية في رواية "عمارة يعقوبيان" لعلاء الأسواني، دراسة تحليلية***، جامعة الموصل/ **مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية**، المجلد 13، العدد 1، 2014، ص 181.

وينتقي الكاتب في عمله الروائي شخصياته ما يوليها عناية خاصة، وبذلك تشكل بوصفها الشخصية الرئيسية مركز استقطاب لعدد من الشخصيات، ويهتم الكاتب بأبعادها الاجتماعية والنفسية بحيث نلحظ أثرها الفعال في مجريات الأحداث[1].

ومن أهم الشخصيات الرئيسة في الرواية **أبو الأمين (الأب):** تمحورت أحداث هذه الرواية حول عائلة أبي الأمين، وهو من الشخصيات الرئيسة في الرواية التي تطالعنا منذ بدء الرواية، اسمه محمد يوسف صافية، مثال الأب الحاني على عائلته والمهتم بكل تفاصيلها، وكبير الدار كما صورته الرواية، يجتمع حوله أفراد الأسرة فرحين عند عودته للبيت، يبلغ منتصف العقد السادس من عمره، ومع ذلك فهو قوي البنية، يتمتع بصحة جيدة يحسد عليها، فالأمراض **"لم تعرف طريقها إلى جسمه الممتلئ دون سمنة مفرطة"**[2]، مواظب على أداء صلاة الفجر في الجامع، لا تنفك شفتاه عن البسملة والاستغفار والحوقلة، وعلى بساطته وطيبته، عّبر وهو في طريقه للمسجد عن سرّ سعادته هذه اللحظة، فالحطّة التي لفّها حول رقبته منحته شعورا بالدفء والراحة، لديه حساسية مفرطة من قطرات الماء المتسللة لرقبته فجأة، تحدث عن حارة القيسارية وبلاطها الأملس السميك.

تحدث (أبو الأمين) عن الحرب وضراوتها، فقد حولت حياته إلى جحيم خاصة بعد أخذ ابنه (حافظ) إلى العسكرية **"فهي الملعون الأكبر..وهي التي حولت حياته إلى جحيم"**[3]. وثق بانتصار الأتراك في المعركة، وذلك لإيمانه العميق بأن**"الله لا يتخلى عن المسلمين، وهو لا يمكن أن ينصر الإنكليز فهم رأس الأفعى الكافرة"**[4].

تمنى لو لم يذهب ابنه (حافظ) للعسكرية، فوجع غيابه وخوفه عليه يحاصرانه في كل وقت، وتساءل لِمَ لَم يفعل مثل أخويه الأمين وحافظ؟ فالأول: غرس الخنجر في فخده وأعطبه كي لا يأخذه الجيش، والثاني تزوج قبل الحرب من قرية كفر قليل من خارج المدينة والقانون التركي

---

[1] ينظر: النعمان، منصور: **فن كتابة الدراما للمسرح الإذاعة والتلفزيون**، الأردن: دار الكندي للنشر والتوزيع، 1999، ص99.

[2] أبو غضيب، هاني: **نابلس الجمر والرماد**، ص13.

[3] أبو غضيب، هاني: **نابلس الجمر والرماد** ، ص10.

[4] السابق، ص10.

يعفي المتزوجين من خارج المدينة من الذهاب للعسكرية، دعا له بقلبه الحاني العودة سالما غانما دون أذى.

(أبو الأمين) حريص على النعمة، يرفع دائما فتات الخبز الذي يشاهده عن الأرض كي لا تدوسه أقدام المارة، "**الخبز نعمة الله على عباده له قداسة كبرى، زادت بل تضاعفت بعد الحرب...الذي لا يصون النعمة لا يستحقها**"[1].

يستمع دائما مع أفراد العائلة لقصص الشيخ رضا لكنه كلما استمع لها دملت جرحه النازف في أعماقه فتذكره القصص بإخوته الثلاثة الذين ماتوا في صباح عرسهم وهو في سنّ صغيرة، فتحول الفرسان الثلاثة إلى جثث هامدة، ولم يعرف أحد سبب وفاتهم، أشفق الناس على والدهم المتعجب لما جرى، وعزا الناس سبب وفاتهم إلى أنها "**عين أصابت الأسرة التي نفذ إلى قلبها سهم الحسد وشر النفاثات في العقد**"[2].

ورغم شيخوخته لم يتخل (أبو الأمين) عن عاداته التي مارسها في صغره وشبابه، وهي جوبه الشوارع في رمضان، يجتاز الشارع الشمالي الطويل ليصل إلى زقاق النوباني الموصول مع الشارع القبلي الطويل، ثم يعود إلى البوابة الشرقية.

اهتم (أبو الأمين) بأخبار المنطقة، وظهر حرصه على متابعتها ومعرفة أدق تفاصيلها، فقد خشي من سقوط الجيش واحتلال الإنجليز للمنطقة، أخبر عائلته عن وصول الجيش الثامن شرق نابلس بين بلاطة وعسكر، وتمنى لو يستقرون في هذا المكان كي يتم تحصين خط الدفاع الثاني"خط نابلس–الناصرة"، ولأن سقوط خط العريش وغزة يجعل الطريق أمام الإنجليز مفتوحا، فالسيطرة على هذا الخط مهمة في هذه المرحلة، وإذا سقط سيستولي الإنجليز على بر الشام وبحر بيروت. فيبدو الأب عليما بأحوال المنطقة قادرا على نقدها وإبداء رأيه في وضعها الحالي.

---

[1] السابق، ص19.

[2] أبو غصيب، هاني: **نابلس الجمر والرماد**، ص79.

الحزن في الرواية طغى على ملامح الأب فهو حزين على ابنه حافظ، وعلى حال البلاد العربية والإسلامية، وحزنه الأكبر يتمثل في قلقه على زوال دولة الإسلام واندثارها، فهو"**ولد في أحضان هذه الدولة، ونمى في كنفها**"[1]، وهو الآن في كبره يشهد بأم عينيه رحيلها واقتراب غيابها وراء الأفق المجهول.

مثل (أبو الأمين) في رواية **(نابلس الجمر والرماد)** مثال الأب التقليدي المسيطر على عائلته، فنمط الأسرة هذا هو الذي طغى في تلك الفترة، وهو نظام الأسرة الممتدة التي تعيش في بيت واحد فتحتوي الجد والجدة والأبناء وأسرهم. ظن (أبو الأمين) أنه ما زال مسيطرا على زمام الأسرة وأن أبناءه لا يتجاوز تفكيرهم حدود المنزل والعمل والأسرة ليعيش معهم حياة كريمة بقناعة ورضى داخل هذا العلم الضيق، فمارس الأب موقعه في إيقاف كل محاولة للخروج عن المألوف، لكن الظروف كانت أقوى منه وفرضت نفسها، فخرج عبد الحميد عن حدود والده المرسومة، وتجاوز الأسوار الشائكة المحيطة بالبيت لينفتح على العالم الجديد ويكون مؤثرا وفاعلا فيه، أول ثماره انضمامه إلى نخبة الوطنيين. فرضخ صوت الأبوة وسطوتها مع الوقت وبدأ الأب كأبنائه يفتح عينيه على ما حوله، ويصغي جيدا لحديث أبنائه عن المخاطر والمخاوف والطغيان المتربع على حافة حياة الناس. ومقابل هذه الشخصية المحبة للحق والرافضة للظلم المستشري بين الناس، تظهر شخصيات عديدة في الرواية ترفع راية الظلم وتجوع الناس على حساب مصالحها مثل فئة الملاك وأصحاب المال.

الأمين: هو الابن الأكبر لأبي الأمين وصفته الرواية بالأرعن واتصف بالدهاء، ركزت الرواية على البعد المادي لهذه الشخصية، فذكرت لنا صفات (الأمين) الشخصية والجسمية، فهو رجل فحل، أعجب أهل بلدته برجولته وشجاعته، وعندما يشاهده أترابه وأصدقاؤه يقفون له احتراما وتقديرا، فقامته ممشوقة وطويلة، يمشي بثقة مطلقة لا يهزها شيء، "**رأسه يستوي بثبات فوق عنقه الطويل.. وجهه الأسمر ذو استطالة قليلة، تزينه عينان واسعتان يعلوهما حاجبان كثيفان، وفي وسطه أنف روماني يميل هو الآخر إلى الطول وتحت أنفه شارب كث تسللت إليه بضع شعرات بيضاء...فمه كان أطول من المعتاد...كان كل ما فيه يميل إلى الطول حتى ذراعيه وأصابعه**

[1] السابق، ص138.

وقدميه"[1]. هذه الصفات الجسمية مجتمعة هيأت (الأمين) ليكون قبضاي حارته "القيسارية" وامتلك منصب القبضاي في تلك الفترة مكانته الاجتماعية الخاصة، فهو ليس سهلا أو ضئيل الشأن، ولم يستغل منصبه لتحقيق مصالحه الشخصية على حساب الآخرين، بل يبذل نفسه لأجل حقوق رعيته، ويتباطأ في تحصيل حقه من الآخرين، فقد طالب بدينه عند المقاول عبد المغيث بتأن، واكتفى بالمطالبة المتواصلة دون رفع صوت أو مشاجرة.

الأمين: هو الأخ الحاني صاحب القلب الطيب والكبير يحبه الجميع، الرجل الشهم وقف بجانب أخته منيرة وساندها، وعدها بأخذ ثأر زوجها "**لن أتنازل عن حق المسكينة وأطفالها..سأدق عنقه وأدفنه حيا**"[2]، وعد أخته بأنها لن تحتاج أحدا ما دام على قيد الحياة.

غرس المخرز في فخده كي لا يتوجه للعسكرية ويلتحق بالتجنيد الإجباري، عمل "**حجّارا**"[3] في أحد المقالع أعلى المدينة، يذهب إلى عمله كل يوم مستعينا بجحشه نظرا لطول المسافة بين بيته و"**المحجر**". أثرت هذه الضربة على صحته لاحقا، ظل يشعر بألم فخده، فتداوى عند حلاق برع في الطب العربي، وعالجه بالكي، صبر الأمين على وجعه، وتجلد كي لا يحس أحد بوجعه، لكن الناس لاحظوا عرجه الخفيف بعد أن عرفوا بقصته، وتعجبوا من قوة احتماله وجبروته، انتهت الرواية بوفاة الأمين، وخرجت المدينة كلها في وداع شيخ الحارت.

حافظ: صاحب شخصية مثقفة ومطلعة وعاشقة للتاريخ، ذهب للحرب بمحض إرادته مدافعا عن الخلافة الإسلامية "**ذهب إليها طائعا مختارا راغبا في ردّ العدوان عن الدولة ومنتصرا لخليفة الإسلام**"[4]، ذهب إليها منطلقا من إيمانه العميق بإمكانية حدوث تغيير على أرض الواقع فقد "**كان عاشقا لقراءة التاريخ وانتصار الأجداد في الحروب..حالما بعودة الأمجاد**"[5].

---

[1] أبو غضيب، هاني: **نابلس الجمر والرماد**، ص36.

[2] السابق، ص80.

[3] أبو غصيب، هاني: **نابلس الجمر والرماد** ، ص323.

[4] السابق، ص10.

[5] السابق، ص13.

بعد ذهابه للحرب اشتاق (حافظ) لمدينة نابلس كاشتياق عاشق متيم يؤلمه غياب الحبيب، فقد ارتبط بها ارتباطا عميقا رغم غربته، وعند زيارته دمشق تعلق بها لتقاربها الكبير مع مدينة نابلس، فشكلت له دمشق الوطن البديل الذي عوضه ألم الفقد في غربته المرة.

أتقن في نابلس دق الحجر وتشكيله حسب الطلب، وهو في العسكرية منحه قائد الجيش شارة أمام الضباط وشكره على شجاعته وإقدامه، فقد أنقذ الضابط فريد من غرق محتم، وهي الشارة الثالثة التي يتلقاها، حصل على المرتبة الأولى في بدء التجنيد لإتقانه القراءة والكتابة، وإجادته الحديث بالتركية، أما الثانية فنالها كثناء له على الانضباط والالتزام والدقة في إصابة الهدف وتنفيذ الأوامر والاهتمام بمظهره الخارجي ونظافة حذائه، وانضم لكادر الضباط بعد حصوله على الشارات، ومن خلال هذه الصفات الإيجابية نستطيع تشكيل صورة واضحة عن شخصية حافظ.

كره (حافظ) الإنجليز وشبههم برأس الأفعى، فقد عاثوا فسادا وتخريبا في كل مكان اقتربوا منه، وسرقوا خيرات البلاد وثرواتها، استعبدوا المصريين، وجعلوا الهنود وقودا لصراعاتهم. استطاع عندما اتحيت له الفرصة هو وصديقاه الأتيرة والجبالي الهروب من العسكرية، فوصلوا إلى قرية (نفرتي) ونصحهم أهل القرية بالتوجه إلى بوخارست. نجح حافظ هو وصديقه الجبالي في الوصول إلى نابلس سالمين، فرح به أهله وأهل مدينته المحبة، بعد أن ذهب للحرب رزق بطفلته زهرية.

مثّل (حافظ) في الرواية نموذج الشخصية الحالمة صاحب الأفكار العظيمة الرافضة للذل والخنوع والمتمسك بوطنه فلسطين والعاشق له فقد ظل مصرا على العودة إلى الوطن رغم ما اعترض طريقه من مخاطر وصعوبات.

عبد الحميد: أحد شخصيات الرواية الرئيسة امتلك دكانا صغيرا لتغليف المصاحف والكتب والمجلات، ومن خلال اطلاعه على الكتب واهتمامه بالمطالعة اكتسب ثقافة كبيرة ميزته عن أبناء جيله رغم وصوله للابتدائية، (عبد الحميد) هادئ بطبعه، يبتعد عن التذمر، ويكره الشكوى، يصبر على الشدائد التي تصيبه، اتصف بالتمرد وهذا أهم ما ميزه "**ثمة تمرد دائم يحسه في كيانه...يتفاعل في دمه...يتغلغل فيه حتى النخاع**"[1]، لا يتقبل الأشياء بسهولة، ويرفض ما لا

[1] أبو غضيب، هاني: **نابلس الجمر والرماد**، ص47.

يتماشى مع تفكيره، شخصيته القوية لم تجعله يشعر باليأس أو الهزيمة، وقف دائما بجوار الضعفاء المهزومين الذين شعروا بمرارة الفقر رغما عنهم فهم لا يمتلكون زمام الأمور، وجلّ تفكيرهم ينحصر في القوت ولقمة العيش الهنيئة لأطفالهم لم يحسبوا حسابا للغد مثل فئة رؤوس الأموال التي أخذت تستغل ضعف الناس وفاقتهم لجمع المزيد والمزيد، دفعهم جشعهم للطمع على حساب الناس والوطن، هؤلاء هم من أشعروا عبد الحميد بالعجز، رغم ثقافته ومحاولته الانتماء لهم لمساعدة الناس فقط وليس لتحقيق مصالحه، لم يستطع المضي معهم فعالمه غير عالمهم المكتنز بالطمع والبخل والخيانة.

(عبد الحميد) مثّل أغلبية الناس وكان جزءا من الأكثرية المعدومة القابعة على حافة الهاوية وعلى هامش كل الصراعات، لكن الفرق الوحيد الذي ميزه عنها ثقافته الواسعة وفكره ووعية الجيد والعميق لما يدور حوله، جلوسه بين الكتب وقراءته للتاريخ والأدب والدين وعلم اللغة وبحور الشعر وفلسفة الفارابي وابن سينا وابن الفارض والمعري وملاحم الإغريق وفلسفة البوذيين، وسّع حدود عالمه الضّيق وآفاقه، وبالمعرفة والعلم تخطى حدود البيت والمدينة لينطلق بعدها إلى عالم أوسع وأرحب، في مجتمع ساده الجهل والتخلف، تسلح بالعلم والمعرفة في وقت كانت فيه الأغلبية لا تفك الحرف، وأصبح في مجتمعه "**مرجعا للقطاع الواسع من الناس**"[1].

الناظر (لعبد الحميد) تلفته أناقة هندامه، ولباقة حديثه، وتهذيبه، بالإضافة لفكره المتقد وكلّ هذه الصفات مجتمعة دفعت حفنة الملاك يتقربون منه ويتوددون إليه، ليعوضوا به النقص في أرواحهم المتعفنة، حقنوا أنفسهم في الشؤون السياسية والقضايا الوطنية كي يرسخوا مزيدا من الصيت والمكانة لأنفسهم، وفي اجتماعاتهم السياسية المغلقة التي حضرها عبد الحميد يتحدثون عن كل شيء إلا مأساة الناس ووجعها، لم يتحمل (عبد الحميد) فانفجر غاضبا ثائرا في وجوههم وخرج من الاجتماع، شعر (عبد الحميد) بالأسف والحزن لانضمامه لهذه الحفنة من الناس، ولأنه سار في طريق غير طريقه ومع ناس لا يهمهم منه إلا استكمال المنظر.

[1] أبو غصيب، هاني: **نابلس الجمر والرماد**، ص57.

لطلما حلم (عبد الحميد) بتحقيق العدل وخصوصا في هذه الظروف القاسية، فقد صور العدل برجل "**يرتدي عباءة واسعة ينضوي الناس تحتها، يتظللون بفيئها، فيحسون بالأمان، بالسكينة، بالاطمئنان وقد امتلأت معدهم، ولم يعد جوفهم يلهث وراء كسرة من الخبز اليابس**"[1]. وتمنى (عبد الحميد) لو يعود **عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)** ليشاهد الظلم الذي تقبع الناس في جوفه، والجوع السائد بين الناس.

هذه الشخصية الواعية المثقفة صاحبة الضمير الحي، تطلعنا على أهمية الكتب في زمن الجهل والتخلف، فـ "**الكتب هي النافذة التي ننظر بها إلى الخلف وإلى الأمام...هي العين التي تفتح لنا صورة الماضي، تطلعنا على الحسنات والسيئات، تهد أسوار الجهل، تفتح مسامات العقل، تقوم تفكيرنا وحساباتنا، تكشف لنا حقائق التاريخ...**"[2]، وبهذه الكلمات تضعنا الرواية أمام فكر (عبد الحميد) المتقد بالعلم، الثائر المتمرد على الظلم وغطرسته، فكره الذي يأبى الخنوع أو الاستكانة ويدعو للثورة على الجهل والتخلف والظلم، والتسلح بالعلم والمعرفة للقدرة على المواجهة دون خوف، اتهم عبد الحميد بالكفر والخروج عن الملة نتيجة أفكاره الثورية المتمردة.

بعد دخول الإنجليز نابلس اختار أهل نابلس عبد الحميد ليمثلهم في مؤتمر القدس، فكتب وثيقة وقع عليها الناس وممثلو العائلات، وعبرت عن مطالبهم وهمومهم رافضة الاحتلال ووعد بلفور واستمرار هجرة اليهود، وطالبت بالحرية والاستقلال، وبذلك أصبح من رجالات المجتمع البارزين، وفي طريق عودته تعرض للاعتقال وسجن في سجن القشلة، ثارت الناس لفعل ذلك فأطلق سراحه وبدأ العدو يحسب له ولمكانته ألف حساب.

سعيد: لم يركز الكاتب على البعد المادي في شخصية سعيد إلا بشكل ضئيل فلم يذكر من تفاصيل شكله أو ملابسه إلا أنه شاب أسمر البشرة، يمتلك شاربا صغيرا، وعيونه سوداء. هو الولد الخامس من أبناء أسرة أبي الأمين حسب ترتيب الأسرة، يكبره الأمين وحافظ وعبد الحميد ومنيرة، فيما تصغره فيروز، عرّف عن أسرته بأنها أسرة بسيطة متوسطة الحال، عمل معلما في مدرسة

[1] السابق، ص105.

[2] السابق، ص108.

العرفان، درس مادة علوم الأشياء، وهي الحساب والطبيعة والجغرافيا والفلك، أطلعتنا شخصية سعيد على محتوى التدريس، فالمدارس في تلك الفترة درّست ثلاثة أنواع من العلوم: علوم القرآن والسنة، وعلوم اللغة العربية، وعلوم الأشياء.

عشق (سعيد) (مريم) ابنة الحاج رشاد الليموني مالك المصبنة، التقى بها ذات مرة في قاعة انتظار المستشفى الوطني الجديد بمحض الصدفة، ومن يومها علقت (مريم) في قلبه ولم تغب عن خاطره، بادلته مريم هذا الإعجاب، أحبها وتلونت بحبها كل الأشياء من حوله، أصبح ينتظرها كل يوم ليشاهدها وهي عائدة إلى بيتها من مصبنة والدها. عمل سعيد محاسبا لدى الحاج (رشاد الليموني) في المصبنة، مما أتاح له التواصل مع (مريم) بشكل أسهل، التقى بها أكثر من مرة في مصبنة والدها، وحين أسفرت عن وجهها وشاهدها ذهل من جمالها، لم يكن يتخيلها بهذا الجمال، وازداد تعلقا وهياما بها، وبعدما كثرت اللقاءات بينهما اعترف سعيد بحبه لها وصارحها بالمشاعر التي انتابته عندما شاهدها سافرة لأول مرة، وبعد فترة طلب منه الحاج تدريس ابنته مريم، فوافق على ذلك وتطورت علاقته بها، وازداد قلبه تمسكا بها مع مرور الأيام كيف لا وهي الحبيبة التي امتلكت القلب والروح؟؟؟!!!

ثقافة (سعيد) جعلته لا يقف موقف الحياد مع مايدور في مدينته من أحداث حزن كثيرا بعدما دخل الإنجليز نابلس وقارن بين الماضي المؤلم الذي ولّى وبين الحاضر البائس والغد الملئ بالأخطار والاحتمالات وكان أخطرها الواقع السيء المعاش بعد تنفيذ اتفاقيات الروس ووعد بلفور وفرضها بالقوة على الشعب دون اكتراث برغباته ومصالحه.

ومما أثر في نفس (سعيد) أكثر ردة فعل الحاج رشاد الليموني وموقفه من احتلال الإنجليز البلد فقد بارك دخولهم، وعمت الفرحة ملامحه حيث "**اكتسى وجهه بابتسامات عريضة، ولمع في عينيه بريق رضا وغبطة. تشكلت احتمالات أخرى قد تعصف بعلاقة الحب التي ربطته مع مريم وتغلغلت فيهما حتى النخاع**"[1].

[1] أبو غضيب، هاني: **نابلس الجمر والرماد**، ص209-210.

لم يكن باستطاعة هذه الشخصية المتصفة بكل صفات العلم والثقافة والاطلاع والوطنية أن تسكت عن الظلم، أو أن تبدّي رغباتها ومصالحها على حساب الوطن وحبه، فشخصية (سعيد) شخصية دينامية لا سكونية ثابتة، ولم تبق على وتيرة واحدة طوال الرواية، إنما تطورت من خلال تفاعلها مع الأحداث والشخوص الأخرى التي استطاعت التأثير على تفكير سعيد ومشاعره وأحاسيسه، فاستطاع (سعيد) في النهاية لملمة شظايا أفكاره ليصل إلى قراره المصيري فيُغلّب وطنه على عشقه الذي سكن الروح وأحياها بعد موت، ويحدد موقفه من حبه لمريم قائلا: "**لم يعد لهذا الحب الذي كان ولا يزال يحتل قلبه، مساحة في حيز الوطن والمصير، وفي حيز تحاك فيه المؤامرات ضد البلد داخل البلد، وعلى رأسهم شقيقه عبد الحميد**"[1].

امتلأت رواية (**نابلس الجمر والرماد**) بالكثير من الشخصيات الثانوية التي ساعدت في إبراز الأحداث، وسلطت الضوء على الوضع السيء الذي عاشته الأمة الإسلامية في نهاية الحكم العثماني من خلال مشاركتها الفاعلة مع الشخصيات الرئيسة في عرض أحداث الرواية، ومن الأمثلة على هذه الشخصيات:

أم الأمين (زوجة أبي الأمين): وهي مثال الزوجة المطيعة، فعند دخول زوجها البيت تسارع في أخذ الأغراض منه، وتنزع المعطف والحذاء، وتخدم زوجها كما اعتادت، وهي الأم المحبة الحانية على أولادها القلقة عليهم، وكغيرها من النساء الفلسطينيات تتصف بالبساطة، ولا تمتلك الكثير من الثقافة والمعرفة.

الحكواتي الشيخ عزيز المصري: وهي شخصية ثانوية في الرواية لها مكانة اجتماعية واضحة، إذ يجتمع الناس حوله في مقهى الشيخ قاسم، وينتظرون حكاياته التاريخية المشوقة بشغف وحب، وبعد دخوله المقهى يقف له الحاضرون احتراما، يبدأ بتحية الحاكم ثم صاحب المقهى، ثم يبدأ بتحية الحاضرين كل حسب مكانته وموقعه في المجتمع، من أغنياء وزعماء وضباط أتراك وكبار الموظفين وقبضايات الحارات الستة، يصاحب التحية أنغام الربابة التي يعزفها بنفسه. لم تتطرق الرواية للحديث عن الجانب المادي والنفسي والفكري لهذه الشخصية واكتفت بالحديث عن

[1] السابق، ص234-235.

هيمنتها وسيطرتها على المجتمع من خلال تأثر الرجال بحكاياته وفرحهم إذا كانت نهايتها سعيدة وحزنهم وانقباضهم إذا كانت أحداثها مأساوية ومفجعة. واحتل الحكواتي هذه المساحة من حياة الناس لكونه يخفف عنهم شظف العيش وقسوته ويجمعهم في مكان واحد، ساردا لهم حكايا تاريخية تذكرهم بتاريخهم العريق الملي بالإثارة والتشويق.

حفنة الصيادين: وهم مجموعة من الملاك وأصحاب الأموال، وحدّهم الطمع والجشع وحب المال، فَضّلوا مصالحهم على مصالح الوطن والناس، وشمّروا عن أذرعهم و حصدوا "**كل ما يقع أمامهم من دور ودكاكين، وذهب، وأثاث البيوت، وأراضي الفلاحين**"[1]، وتحولوا في فترة قصيرة إلى أصحاب أملاك وعقارات كبيرة في المدينة، وإلى إقطاعيين هدفهم الوحيد جمع الأموال وتكديسها ومصادرة الأراضي، وسنعرض لمجموعة من هذه الشخصيات التي تحدثت عنها الرواية:

الحاج رشاد الليموني: وهو صاحب المصبنة التي عمل سعيد فيها محاسبا، واكتشف مدى جشع هذا الرجل وطمعه، استغل ظروف الناس وحاجتهم لجني المزيد من المال، اتصف بالاستغلال والاستبداد واستنزاف العمال، والربا الفاحش، وسرقة الفلاحين، وخيانة الوطن. تآمر مع الأعداء، وأسهم في الايقاع بأبناء وطنه والتحالف مع العدو، ومن شدة بخله وطمعه يحسد العمال على لقمتهم ويصفها بأنها مال حرام، فرغم كثرة المهام الموكلة إليهم وصعوبتها إلا أنهم يتقاضون أجرا زهيدا مقداره نصف ليرة.

أحمد الحريص: وهو أول التجار الذين خبؤوا أطنان القمح والأرز والعدس والحمص والفول، ورغم ذلك فهو يدّعي أنه لا ينال إلا الربح القليل، والربح الكثير يذهب للموردين.

سليم العارف: حصل على منصب شيخ القضاء العشائري بمساعدة من المتصرف وبعض أصحاب النفوذ.

[1] أبو غضيب، هاني: **نابلس الجمر والرماد**، ص56.

أما في **رواية (الفئران)** فتعددت الشخصيات المحورية والثانوية ؛ فقد سلط الكاتب الضوء على مجموعة كبيرة من الشخصيات الرئيسة، وأعطاها اهتمامه، فسبر أغوارها ووصف مشاعرها، وبين لنا مدى تأثرها بمجريات الأحداث.

ومن أهم الشخصيات الرئيسية في الرواية: **فوقية:** وهي أولى الشخصيات الأساسية في الرواية فتاة بلغت السابعة عشرة من عمرها، من إحدى القرى الفلسطينية وتدعى "خربة باب الهوى"، ركز الكاتب على البعد المادي في شخصيتها فقد توفي والدها الفقير وهي صغيرة، مات وهو يعمل في كسارة في العالية بعد أن انهار عليه جزء كبير من التراب والحجارة، امتلكت ملامح جميلة، كما أنها اتصفت بالحيوية والنشاط، أمها عاجزة عن العمل لإعالة الأسرة، وأخوها صغير في الخامسة من عمره، تقدم جارها علي الذي يكبرها بعشرين عاما للزواج بها، لكن أمها ماطلت في قبول الفكرة لأكثر من عام، وبعدها أجبرت على الموافقة بعدما علمت بأن (فوقية) قد أقامت علاقة غير شرعية مع الأفندي الذي كانت تعمل عنده، ولتستر على ابنتها خوفا من الفضيحة زوجتها لجارها علي بعد خداعه.

اتصفت (فوقية) بالكذب فقد كذبت على كل من حولها، وقال (الزرزور) عنها: **"لعنك الله يا فوقية، لم تقولي الحقيقة يوما، اعترفي بأنك أقمت علاقات مع رجال كثيرين، لا تقولي إنك أحببت أحدا يوما، أنت دائما تكذبين"**[1].

في الرواية طرأ تغير كبير فيما يتعلق بالبعد المادي للشخصية، فمن حياة الفقر والفاقة والعوز في بيت أهلها انتقلت (فوقية) بعد عملها في العالية إلى عالم أرحب وأوسع، تفتّحت عيناها الجميلتان على بيئة جديدة، فبعد عملها في بيت الأفندي تغير مظهرها وطريقة كلامها ولباسها وكأنها واحدة أخرى. لكن بعد زواجها من علي عادت لحياة الفقر من جديد.

ويقود المظهر المادي لشخصية (فوقية) إلى الكشف عن أحد أهم أبعادها النفسية المهمة والمتمثلة بروحها المريضة وغير القانعة بما هي عليه، فضلا عن وقوعها في شراك الانحطاط

[1] دويكات، عباس: **الفئران**، ص22.

والرذيلة والسقوط، فمنذ صغرها خرجت عن الحدود المرسومة لها، وأسهم الجميع في استمرار سقوطها، الأم، الجيران، الزوج، والمجتمع.

لم تستطع (فوقية) التخلص من هذ الصفات طوال حياتها، ولم تظهر لنا في الرواية أية محاولة لغيير نفسها والواقع المحيط بها، واكتفت دائما بالتعبير عن رفضها لعيشتها مع زوجها علي، وقرفها منه، وكرهها له ولرائحته النتنة.

شكلت (فوقية) في الفئران شخصية دينامية متحركة، فقد تطور سلوكها وتطورت شخصيتها، ولم تبق على وتيرة واحدة طوال الرواية، إنما تغيرت من خلال تفاعلها مع الأحداث والشخصيات الأخرى التي أسهمت في التأثير على تفكيرها ومشاعرها، لكن هذا التطور لم ينعكس إيجابا على سلوكها وتصرفاتها، وظل سلوكها اللاأخلاقي يتطور ويتنامى مع تسارع الأحداث حتى رمى بها أخيرا في الهاوية، ووقعت ضحية المرض تصارعه وحدها في انتظار الموت.

ومن حيث البعد الاجتماعي فقد أشار الكاتب إليه من خلال الحديث عن الشخصية وصفاتها، ففوقية منذ طفولتها وحتى صباها بقيت محطّ أنظار الجميع في القرية، ففي الطفولة كانت طفلة مرحة، قوية الشخصية، تحب الضحك وعندما كبرت وخرجت للعمل أصبحت مراقبة من كل أهل القرية حتى اكتشفوا أخيرا سقوطها، رأت نفسها مختلفة عن كل بنات القرية مما أعطاها ثقة زائدة بنفسها.

علاقتها بنساء القرية كانت جيدة، إذ كن يحضرن إليها لتزينهنّ وتعدهنّ للمناسبات والأعراس، كما وأظهرت الرواية بعض الإشارات السريعة والدالة على الحياة البسيطة التي عاشتها فوقية مع أهلها أولا في بيتهم الفقير، ثم في حياتها مع زوجها علي الفقير المعدم فقد عاشت معه في بيت قديم قدم التاريخ. الكاتب في الرواية لم يتطرق للحديث عن البعد الفكري لفوقية ولكل شخصيات الرواية تقريبا.

مثلت (فوقية) في الرواية نموذج الأم اللامسؤولة والساقطة أخلاقيا، فهي ما زالت تمارس الرذيلة مع أقرب الناس لأولادها، دون أن تلقي بالا لمسألة أمومتها لطفلين يحتاجان لها، ولم نرها

في الرواية رؤومة بهما أو حريصة على مصلحتهما، بل قدمت مصالحها على أي اعتبار، وبدلا من أن تحاول لملمة شمل أسرتها ركضت وراء نزواتها العابرة، وهي بذلك لا تستحق الأمومة.

أحمد الملهوف: الرواية لم تتحدث عن البعد المادي لهذه الشخصية، وهو أحد الاشخاص المشاركين في الانتفاضة الأولى، اعتقل فيها ووجهت له تهم عدة منها: المشاركة في إلقاء الحجارة على حافلة المستوطنين، فاعترف بأسماء الذين شاركوا والذين لم يشاركوا، وقد بلغ عمره عند اعتقاله السادسة عشرة، خرج بعد شهرين وأصبح بطلا من أبطال الانتفاضة، وبعد دخول السلطة قدّم (الملهوف) أوراقه كغيره من الشباب الفلسطيني الذي يرغب في الانضمام إلى أجهزة السلطة، وعمل في جهاز من أجهزتها بعد الموافقة على أوراقه، وبعد مدة كثرت الأقوايل حوله من شرب للخمر، وتحرش، وتكوين جماعات مسلحة في مخيم الغريب، وهنا تقف الروايةعلى قضية مهمة ألا وهي الفساد في السلطة وأجهزتها وأفرادها، فالملهوف كان يتاجر بالسلاح قبل الانتفاضة ولم تتم مساءلته ومحاسبته، وانضم إلى أجهزة السلطة. وبعد اندلاع الانتفاضة أصبح الاتجار بالسلاح أكثر ربحا للملهوف من أي وقت مضى.

لم يتطرق الكاتب للحديث عن البعد الاجتماعي لهذه الشخصية سوى أنه ترك الدراسة في سن مبكرة، وأصبحت الوطنية شغله الشاغل بعد خروجه من السجن، وعمل في جهاز من أجهزة السلطة بعد قدومها، وتزوج فتاة من إحدى القرى المجاورة لمدينته، التف حوله الكثير من شباب المخيم وعرف بتجارته للسلاح، كان بالنسبة لشباب المخيم مثال الشاب القوي الجريء النشيط.

عند اندلاع انتفاضة الأقصى الثانية وتحديدا عند اجتياح نابلس أوهم نفسه والآخرين بالمشاركة في المقاومة، لكنه انسحب كغيره دون مواجهة مع العدو. نهايته في الرواية مأساوية، فبعد أن أظهر للناس في المخيم انتماءاته الوطنية والقومية، اتجر بالسلاح، وشرب الخمر، إلى أن قتل على يد مجهول واختلفت أحاديث الناس حول ذلك: "**إنه لم يقتل على أيدي قوات الاحتلال، بل قتل على أيدي أفراد من أبناء مخيم الغريب، البعض يقول: "إن مقتله كان تصفية حسابات**

بين أجنحة مختلفة من تنظيمات الغريب، وآخرون يقولون إنه قتل لتحرشه وتعديه على بنت من بنات الغريب تنتمي لعائلة معروفة بسطوتها ومكانتها في مخيم الغريب"[1].

مثل (الملهوف) في الرواية نموذج العميل ككثير من الشباب الفلسطيني الذي امتهن العمالة مقابل الحصول على المال أو المغريات الأخرى، وقد نجح الاحتلال في جذب عدد لا بأس به، وأسهم هؤلاء في سقوط المجتمع وانحلاله وفساده، فمن باع الوطن يهون عليه أي شيء مقابل مصلحته.

مثلت رواية **(الفئران)** الزاخرة بالفساد والخيانة والعمالة شريحة كبيرة من شباب المجتمع الفسطيني وشاباته ممن تعرضوا للوقوع في شباك المخابرات الإسرائيلية، فباعوا الوطن والكرامة مقابل الإغراء المادي المقدم لهم، وهذه ظاهرة خطيرة تسللت لتركيبة المجتمع الفلسطيني بفعل ممارسات الاحتلال المتمثلة باضطهاده نفسيا وماديا واجتماعيا، ويتضح لنا أن شخصيات الرواية انعكاس لشخصيات حقيقية وواقعية مارست فعل الخيانة في الانتفاضتين الأولى والثانية ومازالت حتى اليوم. قدم لنا كاتب الرواية في النهاية "**صورة الواقع الفلسطيني المر، الواقع الذي نخجل الاعتراف بحقيقته، فنحن مهزومين من الداخل والخارج**"[2].

وفي رواية **(ذاكرة زيتونة)** ركزت سهاد عبد الهادي على أحداث انتفاضة الأقصى الثانية وما ألحقتها من أضرار جسيمة في بنية المجتمع الفلسطيني من خلال شخصيات روايتها.

تطالعنا شخصية (سهر) منذ بدء الرواية حيث دارت حولها أحداث الفصل الأول من الرواية، عاشت وحيدة في بيت بارد فارغ من الحياة والأمل، هاجر زوجها إلى أستراليا بعد تشجيع ابن عمه له، تركها منذ سنوات عديدة فقد رفضت السفر معه وبقيت وحيدة تعاني من الأرق، واختارت البقاء رغم الظروف الصعبة التي عاشتها فلسطين ونابلس في تلك الفترة، سافر زوجها "المغامر" في السنة الثالثة من اندلاع الانتفاضة الأولى، (سهر) متمسكة بالوطن وعدالة قضيته، فهي لم ترحل مثل الكثيرين الذين فضلوا حياة الرفاه على حياة الشقاء والتعذيب في فلسطين،

---

[1] دويكات، عباس: **الفئران**، ص279.

[2] الحواري، رائد: **رواية الفئران عباس دويكات**.

أدركت بعقليتها المتفتحة رغم أنها لم تكمل دراستها الجامعية بسبب ظروف كثيرة فرضت عليها أهمية الرباط على هذه الأرض المباركة، وآمنت بأن تحمل فظاظة العيش وضيقه لا ينفصل عن الجهاد والدفاع عن الوطن.

(سهر) أُمٌّ اكتَوَت بنار الفقد، وذاقت مرارة وجعه، حيث بقيت في نابلس مع ابنها الوحيد المصاب بعيار ناري في صدره منذ سن الخامسة من عمره، اخترق صدره وهو يلعب مع ابن خالته في منزل جدتهما قرب مخيم بلاطة، وجراء ذلك أصيبت إحدى رئتيه، وبعد مضي سنتين توفي ابنها اختناقا بسبب استنشاقه للغاز المسيل للدموع، وبوفاته فقدت أجمل ما في حياتها، واختفى أثر النور الذي أضاء عتمتها.

أرسلت لها ابنة عمها (دعد) دعوة لزيارة إمارة الشارقة، فتوجهت لأحد المكاتب السياحية، وحزمت امتعتها استعدادا للسفر، فرحت بما شاهدته هناك من مظاهر بهجة وسرور، شعرت "**بحجم المسافة الفاصلة بين عالمين، عالم الخوف والحواجز والموت في فلسطين، وعالم الحياة والأمن والأمان في الشارقة**"[1]. بطلة الرواية لم تطق العيش في الغربة ورفضت بشدة فكرة ابنة خالتا التي دعتها للبقاء والعمل في مركز تجميل، اشتياقها للوطن كبر في قلبها فلم تحتمل البعد، اشتاقت لنابلس وقررت العودة إليها.

صرحت كاتبة الرواية سهاد عبد الهادي في حوار أجري معها بأنها اختارت أسماء أبطال روايتها عن قصد ووعي منها، فكان لكل شخصية دلالتها الخاصة بها. فاسم مها يعني قلة النوم (الأرق) ومن هنا اتسمت شخصية سهر في الرواية بذلك، وهي تمثل شريحة كبيرة من الشعب الفلسطيني، المرابط على أرضه رغم كل ما يحفّ حياته من مخاطر، بقيت في الوطن ورفضت

[1] الحواري، رائد: **رواية " ذاكرة زيتونة" سهاد عبد الهادي.**

العيش خارجه[1]. وبذلك مثلت (سهر) في الرواية صورة "**الصمود رغم قهر الاحتلال والمشاكل الاجتماعية**"[2].

أما (خالد السيد) فكان من أهم الشخصيات الثانوية في الرواية ولم تتطرق الرواية لذكر الوصف المادي لهذه الشخصية، ولم تذكر من صفاته الجسمية سوى أنه صاحب قامة طويلة، واكتفت بالتعريف به من خلال الحديث عن طبيعة عمله، فهو صحفي لإحدى وكالات الأنباء الأجنبية، تخرج من الجامعة الأردنية قبل سنتين، وعمل في مدينة عمان، عاد إلى الضفة الغربية، في فترة اندلاع الانتفاضة الثانية وقرب اجتياح نابلس، لظروف عائلية ألمّت به.

التقى بمها أثناء زيارتها مدينة نابلس وركب معها في السيارة التي أقلتهما لنابلس، وظهرت شهامته في تعامله مع مها، فلم يتركها عندما علم أنها أتت إلى نابلس لزيارة صديقة لها، ينتمي خالد لأسرة بسيطة تسكن في منطقة رأس العين على أطراف البلدة، شاركت أسرته كغيرها من الأسر النابلسية في الدفاع عن البلدة القديمة، أخته فداء تطوعت ممرضة في المستشفى الميداني الذي أقيم في الجامع الكبير، بينما أخته شفاء انضمت إلى فرق الدفاع المدني، هذا ومثلت والدته نموذج الأم المقاومة والمشاركة جنبا إلى جنب مع الرجل في الفعل القومي، فقد لعبت دورا مهما وحيويا هي ونساء البلدة القديمة من خلال ما قدمنه من مساعدات لشباب المقاومة مثل توزيع الذخيرة على المقاتلين، وإمدادهم بالطعام. أما والده فشارك في لجنة تنظيم الحارة وتنسيقها من أجل بحث الوضع الحالي للمدينة ومحاولة إيجاد حلول للدفاع عنها.

ويرمز (خالد) في الرواية إلى الشباب الذي لا ينضب في هذا الشعب، جاء إلى نابلس في أشد الظروف تاركا خلفه كل شيء ليدافع عن وطنه وعن مدينته الحبيبة نابلس.

---

[1] ينظر: حسن، سما: قاصة فلسطينية من جبل النار تستنطق ذاكرة الزيتون سهاد عبد الهادي. كتبت رواياتي على الدروب، 1/يناير/2009. http://www.alittihad.ae/details.php?id=85&y=2009

[2] نصير، أمل: الكاتبة الفلسطينية سهاد عبد الهادي تتحدث عن معاناة الكاتبة والكتابة، الرأي الثقافي، 2008/1/1. http://alrai.com/article/253379/

أما سحر خليفة فاختارت في روايتها **(ربيع حار)** مرحلة الاجتياح الإسرائيلي الواسع والضخم لمدن الضفة الغربية في ربيع العام 2002، وتحديدا اجتياح نابلس وبلدتها القديمة، واجتياح رام الله ومقر الرئاسة فيها. وقد تعددت الشخصيات الرئيسة والثانوية في رواية ربيع حار؛ حيث سلطت سحر خليفة الضوء على مجموعة كبيرة من الشخصيات الرئيسة والثانوية، وحاولت وصف مشاعرها بدقة، واختارت أسرة عادية بسيطة للحديث عنها، وقد عاشت هذه الأسرة حياة المخيم والشقاء.

ومن أهم الشخصيات الرئيسة في الرواية: **الوالد فضل القسام:** ابن تاجر سجاد من حيفا هاجر مع أسرته بعد أحداث عام 1948م، واستقر به المقام في مخيم عين المرجان، "**وكان ما زال بعد صبيا. بدأ حياته ككل أبناء المخيم على تراب الأرض، ثم كرتونة علكة، ثم صينية حلاوة، ثم جريدة وهو يقفز من هذا الرصيف إلى ذاك الرّصيف إلى الشارع عبر المارة والسيارات وهو يصرخ: اقرأ الأخبار طازة وسخنه.. اقرأ الأخبار.. ومن هنا قرش وهناك قرش حتى افترش أول بسطة، ثم كشكا صغيرا أمام الجامع، ثم الدكان. لكن أثناء تلك القفزات والمراحل جاع وعطش ونشف من البرد وواجه كلاب الحارات وقططها، ولولا جلده المبطن بجلد التماسيح لكان الآن مثل كثيرين في الشارع خلف البسطات**"[1]. وعندما كبر أحب (شهيرة) الفتاة اللعوب التي تغني وتضرب على العود وتزوجها رغم معارضة والده وأنجب منها ابنه مجيدا، ذاق معها مرارة الفقر في المخيم، فقد عاش معها في غرفة صغيرة بحجم الخم، ولم يمتلك في بيته المتواضع الخصوصية التي تمناها. وبعد موتها تزوج فضل القسام امرأة ثانية أنجب منها ابنه أحمد. ضايقه في الرواية مشاهدته بُعد ولديه نجيب وأحمد عن الهم الوطني وانشغالهما بنفسيهما.

عرضت **(ربيع حار)** للبعد الاجتماعي لهذه الشخصية فهو صاحب مكتبة تدعى مكتبة الجليل، بدأ حياته بعد النكبة يعمل كموزع جرائد على دراجة، وبعد النكسة تطور عمله، واختار دكانا صغيرا ليبيع فيه الكتب والمجلات والجرائد، فحصل بذلك على مكانة اجتماعية بين الناس، وعرف بفهمه وثقافته، لكونه يبيع المطبوعات ويمضي معظم وقته بين الكتب، ولنزول اسمه في

[1] خليفة، سحر: **ربيع حار**، ص15.

جريدة القدس كمراسل صحفي. امتلك (فضل القسام) سيارة صحافة مكنته من التنقل بين المدن بسهولة منذ بداية الانتفاضة الثانية، لكنه بعد عملية ابنه أحمد في المستوطنة منع من التنقل بين المدن، وبرز في الرواية على أنه رجل شجاع صاحب مبدأ وموقف صلب، لا يخشى الاحتلال، ويقول دائما كلمة الحق دون خوف.

ومن خلال أبعاد الشخصية المادية والاجتماعية تتكشف لنا انتماءاتها الوطنية، فهو لاجىء فلسطيني عاش حياة التشرد والضياع، وهو ابن حيفا ووادي النسناس، لم يتخل عن حقه في العودة، ما زال يحتفظ بمفتاح داره، وصورة لمعرض سجاد والده الذي كان في حيفا.

وبذلك يمثل (فضل القسام) في الرواية جيل الآباء، الجيل الذي عايش النكبة وعانى الغربة وقاسى التشريد والظلم والجوع ويرفض التنازلات، والتعامل مع المحتل الذي طرده واستوطن أرضه، كما يرفض التعامل مع العملاء الفلسطينيين الذين باعوا وطنهم وكرامتهم مقابل المال أو الجاه أو السلطة[1].

أم سعاد: كانت امرأة عادية، بسيطة وطيبة وساذجة مثلها مثل بقية نساء الحوش، لا تعرف من الحياة غير زوجها وأولادها، والسهر على راحتهم، اعتقل زوجها في الانتفاضة الأولى في أحد الاجتيحات والمداهمات للمدينة، كان أبناؤها ولمّا يزالوا أطفالا. وجودها في حوش العطعوط، إضافة إلى أهميته في الرواية، منح الرواية نقطة ارتكاز أخرى؛ لأنها حولت الحوش مع نساء الحي إلى مطعم يأوي جميع الفقراء والمنكوبين والمحرومين من سكان المدينة ومن غدرتهم الأحداث من خارج المدينة، وفرّ لهم المطعم الطعام والشراب، وأماكن للنوم، بما توفر لديهن من معدات متواضعة، وبما استطعن الحصول عليه من مصادر أخرى، وهذا يدل على ما اتصفن به من قدرات على التصرف بحكمة وشجاعة وصبر.

منحتها ظروفها القهرية قوة إضافية، فأصبحت تعمل لتعيل أبناءها، وتربيهم بعرق جبينها، وعندما كبروا ذهب كل واحد منهم للخارج إما للعمل أو الدراسة، ولم يبق لها في البيت سوى ابنتها

[1] ينظر: القاسم، نبيه: **دراسة:** سحر خليفة والربيع الحار رؤية ثاقبة وموقف واضح، 2007/10/12_2007/10/20. http://www.nabih-alkasem.com/sahar_rabe3_7ar.htm

سعاد، واستطاعت بشجاعتها اجتياز محنتها بتأسيس مشغل للخياطة في البيت، بدأته بماكنة خياطة ثم توسع مشروعها ليضم عددا من الماكنات ومجموعة من العاملات في المشغل اللواتي يتقاضين أجرا مقابل عملهن، واستطاعت بذلك سدّ حاجتها وحاجة نساء كثر اضطررن للعمل كي يُعِلنَ أُسَرَهُنَّ.

عند بدء اجتياح نابلس كانت أم سعاد في أوج قوتها وعطائها ونجاحها، فلم تعد تلك المرأة القديمة العاجزة الخائفة التي ترتجف خوفا وذعرا عند كل اقتحام لقوات الاحتلال. أصبحت الآن امرأة مختلفة أكثر قوة وقدرة على مواجهة كل ما يعترض طريقها، لقد منحها غياب زوجها مزيدا من القوة والشجاعة.

وهنا تظهر فلسفة الروائية سحر خليفة في " **دفاعها المتكرر في كل رواياتها، عن حق المرأة من التحرر الاجتماعي الكامل، وفي الاستقلال عن تبعيتها التقليدية للرجل، زوجا كان، أم أبا، أم ابنا، أم أي " ذكر" في أي موقع وفي أي حال**"[1]، وبذلك أسست سحر خليفة بطولة روايتها ربيع حار على امرأة غير مكترثة بسجن زوجها إلا بما أتاحه بعده عنها، من فرصة لاستقلاليتها وتحررها من قيوده، وقد عبرت الرواية عن ذلك " **ابتدأ الضرب فنادوهم بالسماعات: يا أهل نابلس استعدوا، هجم اليهود، فضحكت أم سعاد وقالت للبنات: ياالله اشتغلوا، مالكم واقفين؟ كانت تريد تسليم الشغل وقبض الثمن قبل بدء الهجوم، فهي المسؤولة عن فتح البيت، وهي المسؤولة عن المشغل وأجور البنات. مذ فارقها وقبع في السجن، صارت امرأة قوية. في البداية، ككل النسوان، قبعت في البيت تطبخ وتنفخ وتحمل وتلد مثل القطط والأرانب. في كل سنة ولد في البطن وولد في الحضن وولد يلتصق بركبتها، حتى طفحت أركان الدار وما عادت تتسع لفقس جديد. فجاء اليهود ورحموها، أخذوا المحروس فقاس البيض، وتركوا الدجاجة والصيصان، صاحت ناحت وشدت الشعر، ثم انتفضت وبدأت تعمل، باعت أسورة مبرومة واشترت ماكينة لحبك الصوف، ثم أخرى. فامتلأت الدار بالماكنيات، وكبر الأولاد. وذهب سعيد ليدرس في الشام. وعزيز ذهب إلى المغرب. ومروان هاجر لأميركا. ومحمود استشهد بعملية في غور الأردن. وجميل راح. وعماد**

[1] الخليلي، علي: "**مع رواية " ربيع حار للروائية سحرخليفة تحولات أم سعاد في مواجهة الخوف والحصار.**

راح. وما بقي منهم إلا سعاد. فكيف إذن يقولون البنات لا نفع لهن؟ وكيف إذن لا ينادونها يا أم سعاد؟ سعاد إذن، ست الكل والنوارة"[1].

وبذلك تكون (أم سعاد) في الرواية مثلت نموذج المرأة القوية العاملة التي استطاعت إدارة شؤون بيتها بعد اعتقال زوجها ومساعدة أهل حارتها أثناء حصار نابلس، فقد عبرت شخصيتها عن امرأة نابضة بالحياة والأمل تعمل دون كلل أو ملل من أجل تثبيت مكانتها في المجتمع.

ومن أهم الشخصيات الثانوية في الرواية **الأب زوج سعاد:** كان قبل سجنه يتحكم بالبيت ويهين زوجته ويقول لها بدون شفقة أو عطف: **"وله يا حرمة، وله يا هبلة، وله يا حمارة، وكانت تقول مجيبة: طيب. بس انت روق، طول بالك، وتركض هنا، ثم تركض هناك، تمسح لهذا، وترضع ذاك، وتعكز أمه للحمام، ثم سجن هو وماتت أمه وراح الأولاد وبقيت هي، ولكن أقوى. ولوعاد اليوم بعد خروجه من السجن وقال لها يا حماره ستقيم الدنيا على رأسه. لكن للحق أصبح أحسن. أصبح في السجن أحسن حالا. أهدأ بالا، ألطف وأظرف يحكي النكت ويغازلها. علموه في السجن. صار بني آدم."**[2]، لم يتجاوز دوره في الرواية كونه " فقاس بيض" كما صورته الرواية، اعتقل في الانتفاضة الأولى وترك زوجته وأولاده وهم صغار بلا معيل، اعتقاله شكل رحمة اليهود لأم سعاد، لم تذكره زوجته بكلمة طيبة، ولم تبالي لما يتعرض له من عذاب في السجن، لم تفخر بنضاله الوطني، في إشارة واضحة من الروائية **"أن لا قيمة حضارية مؤثرة للنضال الوطني– السياسي إن لم يترافق ويتماهى مع النضال الاجتماعي، وبخاصة ما كان منه داعما لحرية المرأة واستقلالها"**[3].

سعاد: ابنة (أم سعاد) الوحيدة، فتاة من مدينة نابلس، وزميلة مجيد في الفرقة الغنائية، تقيم في البلدة القديمة، خرج والدها من السجن بصفقة تبادل أسرى في الانتفاضة الثانية، عشقت في الرواية لكنها في النهاية وبعد تفكير وصراع طويل مع نفسها، أنهت العلاقة معه لأن الشك بدأ

---

[1] خليفة، سحر: **ربيع حار**، ص241–242.

[2] السابق، ص242–243.

[3] الخليلي، علي: **مع رواية "ربيع حار" للروائية سحر خليفة تحولات " أم سعاد" في مواجهة الخوف والحصار.**

يساورها تجاهه ولم تعد تثق به، الرواية لم تتطرق للحديث عن البعد المادي أو النفسي أو الاجتماعي أو الفكري لهذه الشخصية.

أما في رواية **(حياة ممكنة)** فتعد (نرجس) أهم الشخصيات الرئيسة، فتعرضت للبعد المادي لهذه الشخصية مركزة على معاناتها منذ طفولتها، فنرجس تلك الفتاة والإنسانة، التي تربت وعاشت وسط عائلة تقليدية، عانت من قسوة الأم التي لم تكن تعرف الحنان والحب إلا بقسوة، فهي لم تكن قادرة على التعبير عن مشاعرها، وتدخل الأخ الذكر فيها، فهو يسخر منها ويستهزىء بها، وينابيها بـ "الدابة"، يضربها باستمرار بحزامه الجلدي دون رحمة أو شفقة، ولم تتوقف معاناتها النفسية عند هذا الحد، فقد عانت من التمييز الطبقي في المدرسة لكونها ابنة حمّال فقير، لم تكترث نرجس لذلك وواصلت تعليمها إيمانا منها بأنها ستحقق حلمها في يوم ما.

لقد أثر على نفسية (نرجس) الكثير من الأشياء التي جعلتها حزينة طوال الوقت، وقد عبرت(نرجس) في الرواية عن ذلك قائلة: "**مرت سنوات طفولتي، وهناك قهر، وخوف من عجوز وبقال وإخوة. هناك خوف من أم لا تعرف الحب إلا بقسوة، ومن أب لا يعرف الحب إلا بضعف، ولا يملك قوة ليحميني إلا بدموع يذرفها فوقي. وسنوات المراهقة لم يجتاحها إلا قصص الاحتلال والدمار**"[1]، تعرضت للعنف الأسري في المنزل، والعنف النفسي في المدرسة، والعنف الذكوري الذي كان له عميق الأثر في انكسارها وتقوقعها على نفسها أكثر، إذ تعرضت وهي طفلة صغيرة للتحرش من قبل جارها العجوز، ووصفته بأنه عجوز مهترىء ذو أنف ضخم، يمتلك صلعة غير لامعة، وعينين صغيرتين غائرتين، وحاجبين منخفضين، ظهره منحني، وقوامه هزيل، ملامحه تدل على الضعف لكنه أخفى خلفها مجرما ليس في قلبه رحمة [2] أو شفقة، أدخل الحزن والخوف والرعب إلى قلبها، هو وصاحب البقالة في الحارة، ولم تكن تجرؤ على البوح لأحد من أفراد أسرتها، ظل هذا الوجع يسكنها حتى شبابها.

[1] عيسى، إسراء: **حياة ممكنة**، ص110.

[2] عيسى، إسراء: **حياة ممكنة** ، ص111.

في طفولتها القاسية نظر لها الجميع على أنها مختلفة، متمردة، كان لهذا كله الأثر العميق في تشكيل شخصيتها، فرغم حياتها المليئة بالألم منذ الطفولة، وحتى الشباب عندما خذلها حبيبها وتزوج بغيرها، قررت لحظتها نرجس التمرد والثورة على كل هذه القيود التي أسرتها، وجعلتها رهينة لها، فهي لم تتوان لحظة في تحقيق طموحها، دخلت كلية الفنون الجميلة عندما كبرت، وامتهنت بعد تخرجها الرسم، أفرغت من خلاله أوجاعها الدفينة في أعماق روحها، فكان طريقها للنجاة والحياة مجددا.

بدت (نرجس) في نهاية الرواية مختلفة، فلم تعد تلك الطفلة الخائفة الضائعة، أصبحت الآن قوية بقدر جعلها تؤسس معرضها الخاص في بروكسيل، وهي بذلك لم تكن شخصية ثابتة، وإنما عبرت بروحها القوية عن فنانة تمردت على واقعها المرير، وشكلت لها من بين الحطام والردم عالما خاصا بها، حققت فيه ذاتها الضائعة، فهي بذلك شخصية متحركة نمت مع أحداث الرواية، وبعد أن فقدت روحها هناك في الوطن عاد (زياد) وأيقظ فيها الأمل والحب من جديد، التقت به في بروكسيل فبعد كل مآسيها "**قررت ترك مدينتها وهي ضعيفة، لتعود إليها قوية ثائرة مختلفة، هي لا تجيد حمل السلاح، لكنها تجيد حمل الريشة والقلم**"[1]، وتجيد تشكيل الطين، وطرق الحجر. شكلت هي بالنسبة (لزياد) " الوطن"، فقد بعثت فيه الروح والحياة، وشكلت منه إنسانا آخر استطاع التغلب على قهره وضعفه وموته، فقد شجعته على العودة لفنه رغم فقده لبصره عن طريق تشكيل الطين، فكانت بالنسبة له عينيه التي يرى بهما أعماله، وجهزا لافتتاح معرضهما الخاص في بروكسيل، وبعد افتتاحه حاز على إعجاب الجميع، وأصبح لزيد ونرجس مكانة اجتماعية مرموقة بين الناس في المجتمع.

ومن أهم الشخصيات الثانوية في الرواية **والد نرجس فهو** إنسان بسيط، حنون، طيب القلب، يعطف على نرجس ويجعلها تنام بجاواره إذا شعرت بالقلق أو الخوف، يطلب من والدتها دائما ألّا تضربها عندما تبلل فراشها، كان يعمل حمّالا، وبالإضافة إلى هذه المهنة، مارس الأب الكثير من الأعمال، فهو يسد شقوق السقف التي تدلف في الشتاء، ويصلح أعطال الكهرباء، يعالج

[1] السابق ، ص73.

أبناءه عند مرضهم بزيت الزيتون، نرجس لم تكتشف طبيعة عمل والدها إلا عند دخولها المدرسة، ولكونها ابنة حمّال تعرضت للتجريح والتهميش في المدرسة، مهنة والدها جعلتها تصر على الدراسة كي تغير الصورة السائدة في المجتمع، كي يحترمها الناس، ولتوجه رسالة للعالم مفادها "**أن أولاد الحمالين يحملون في رؤوسم عقولا نيرة لا عقول عتة وتخلف**"[1]، يمثل الأب في الرواية صورة الأب المحب لأطفاله لكنه امتلك شخصية ضعيفة لم تمكنه من إظهار هذا الحب صراحة أمامهم، فإذا أحب أحب بخوف وقلق.

أم نرجس: مثلت في الرواية مثال الأم القاسية، فأم نرجس لا تعرف كيف توصل مشاعرها لأبنائها، تعطي أبناءها الذكور الحق في تربية البنات وضربهن، حتى إنّ جسد نرجس أصبح يشبه وسادة الملاكمة من ضرب أخيها محمد لها.

تعددت الشخصيات الرئيسة والثانوية في رواية (**لغة الماء**)؛ فقد ركزت عفاف خلف على شخصيتين رئيستين، وأعطتهما اهتماما كبيرا من خلال سردها للأحداث وهما شخصية (فاطمة) و(محمد العربي).

(ففاطمة) بطلة رواية (**لغة الماء**)، ومن شخصياتها المحورية التي دارت حولها أحداث الرواية، أصبحت الآن مقعدة بسبب بتر ساقيها إثر إصابتها برصاص متفجر في إحدى تظاهرات الانتفاضة الثانية، منحتها جدته دافعا قويا لتخطي أزمتها. عفاف خلف لم تركز على البعد المادي في شخصيتها، فلم تذكر تفاصيل شكلها أو ملابسها، واستعاضت عن ذلك بالتركيز على بتر ساقيها، وتحولها من فتاة طبيعية وطنية مقاومة إلى فتاة عاجزة بفعل البتر، فأصبح كرسيها المتحرك وسيلة تواصلها مع العالم الخارجي، فجعلت الكاتبة من هذا الحدث الوصف الأول والأساسي لها؛ لتكون صورة البتر حاضرة كلما ذكر اسمها، حتى لا ينسى القارىء أنه أمام شخصية غير عادية، فبرغم إصابتها بالبتر إلا أنها تمتلك القدرة للتواصل مع العالم الخارجي، وتعبر عن أفكارها الطموحة. اتخذت فاطمة في الرواية من الأوراق رفيقا أبديا لها تسلي بها روحها، وامتلكت عقلا راجحا وواعيا مكنها من محاكمة الأمور بطريقة عقلانية.

---

[1] عيسى، إسراء: **حياة ممكنة**، ص75.

عشقت (فاطمة) محمد العربي أخا عريب، عشقته في الانتفاضة الأولى وتقدم لخطبتها، اعتقل ومن لحظة اعتقاله تغير كل شيء في حياتها، بترت ساقاها، واستشهد أخوها (قصي). وقد عبرت (فاطمة) عن حبها (لمحمد) في أكثر من موضع في الرواية "**حضوره صمت اللغة الأبدي، تطاير الحروف في المدى. ماذا أقول لجرح يفتح نوافذ الليل لدفق الموت**"[1]، فاطمة بقي قلبها ينبض بحب (محمد) رغم زواجه بأخرى عند خروجه من السجن بسبب رضوخه لمطالب أمه بالزواج من فتاة سليمة كي تفرح به.

(فاطمة) قتلتها الكثير من الأشياء في حياتها حتى غدت منهكة ومتعبة، فقد كانت شاهدة حقيقية على تداعي مدينتها وسقوط شبابها شهداء، عاشت لحظات الرعب والخوف مع أهلها وسكان مدينتها. وفي نهاية الرواية استشهد محمد وقتل في روحها أجمل وأعذب المشاعر، رثته بكلماتها، أوجعها غيابه وهو الحاضر في الذاكرة، المقيم في القلب، والمتجذر في أعماق الروح، كيف لها أن تحتمل ألم فراقه، عبرت الرواية عن المشاعر التي انتابتها عند سماعها نبأ استشهاده "**شعرت بالاختناق، بالجدران تطبق عللى أنفاسي، وقلبي يكاد ينفجر، فتحت باب منزلي، الرعب يتلبسني، يمسك بخناق تفكيري، محمد انتهى! محمد كان هناك يواجه الموت!**"[2]، أصيبت (فاطمة) بانهيار عصبي أخذت إثره إلى المستشفى، أعطيت الإبر المهدئة كي ترتاح، وبدأت تستوعب رويدا رويدا فكرة غيابه.

مثلت (فاطمة) في الرواية "**نموذج المرأة القوية رغم ضعفها الجسمي، إلا أنها تحلت بالقوة أمام "محمد"، وفي لحظة ابتعدت عن الضعف، وظهرت في الرواية نبيلة، تحترم النساء أمثالها، ورفضت الحصول على رجل ليس لها مرتبط بأخرى**"[3]، حتى كدنا نرى أن الشخصيات كلها تدور حول فلك فاطمة، وقد عبرت فاطمة عن ذلك في حوارها مع محمد العربي:

" لماذا لم تذهب لتودع زوجتك وأطفالك؟ هم أحق مني بلحظات أمنك.

---

[1] خلف، عفاف: **لغة الماء**، ص11.

[2] السابق، ص164.

[3] الحواري، رائد: الأنثى والحرب في رواية– لغة الماء– عفاف خلف " هيمنت الأنثى على أبطال الرواية"، 2017/3/23. http://www.m.ahewar.org/s.asp?aid=552480&r=0

- أنتم عائلتي الآن.

- لا تفه بكلمة أخرى. كلماتك ستكون خيانة لي ولها"[1].

وبهذه الكلمات يتضح مدى حرص فاطمة على مشاعر زوجته، وعلى عائلته أكثر منه، فهو يتجاهل حاجة زوجته وأطفاله له.

وجدير بالذكر أن وجود (فاطمة) في الرواية يصور لنا شريحة كبيرة من الفسطينيين الذين يعيشون في الضفة الغربية والقطاع، ويتعرضون لانتهاكات عديدة من قبل الاحتلال، فهم يعانون ويلات الحرب والصراع القائم في المنطقة بدون أي ذنب، فيفقدون إلى جانب أجسادهم جزءا كبيرا لا يستهان به من أرواحهم الثكلى.

وقد سلطت عفاف خلف من خلالها على ممارسات الاحتلال الشنيعة في الانتفاضة الثانية وتحديدا عند اجتياح مدينة نابلس وبلدتها القديمة، ففاطمة عاشت أحداث الاجتياح وعاصرتها، وشربت كأس مرارتها ووجعها، وشاهدت نزف مدينتها الحبيبة.

تحدثت عفاف خلف في حوار أجرته الباحثة معها عن (فاطمة) وصرحت بأن (فاطمة) "**لم تكن شخصية حقيقية، وكان الهدف من وجودها في الرواية رمزي أكثر من كونه شخصية حقيقية، ورمزت لفلسطين المبتورة ما بين 48-67، أو فلسطين التاريخية التي تم خيانتها**"[2].

وبذلك نستطيع القول إن (فاطمة) بطلة الرواية شكلت شخصية متحركة وغير ثابتة، فقد تفاعلت وتطورت مع أحداث الرواية التي تؤرخ لانتفاضة الأقصى الثانية، حتى كدنا نرى شخصيات الرواية كلها تتمحور حولها.

(محمد العربي) أحد شخصيات الرواية المحورية، تعرف على فاطمة لأول مرة في الانتفاضة الأولى، وتكررت رؤيتها له في الاجتماعات التنظيمية، كان مسؤول الخلية وقتها، اتصف

---

[1] خلف، عفاف: **لغة الماء**، ص13.

[2] حوار إلكتروني أجريته مع الكاتبة بتاريخ: 2/ أغسطس/2017.

وردت هذه المعلومة أيضا في حوار أجرته آمنة وناس مع الكاتبة بتاريخ: 2013/7/11.

بالعناد والشجاعة والإقدام، وبعد مصادقته لأخ فاطمة " قصي" أصبح فردا من أفراد العائلة، يمضي الكثير من وقته هناك، خطب فاطمة بعد أن أحبها، لكنه سجن في الانتفاضة الأولى فباعدت فجوة السجن بينهما، وكان السجن بمثابة الشبح الذي يهدم العلاقات ويبليها. أدرج اسمه على لائحة المطلوبين في الانتفاضة الأولى، وصفته الرواية بأنه دائم الحركة كثير الغياب، فقد فرضت عليه الظروف ذلك.

في الانتفاضة الثانية وأثناء اجتياح نابلس سنحت له الفرصة بمصارحة فاطمة بحبه لها، وأن قراره بالزواج كان خاطئا، وأنها حب حياته، (فاطمة) شكلت (لمحمد العربي) الوطن الذي يحمله بداخله أينما توجه، ترك لفاطمة رسالة تحدث فيها عن معاناته في السجن، وعن استشهاد صديقه (محمود) إثر التعذيب، وكيف أطلق سراحه بعد توقيع أوسلو.

وفي ذاكرة (محمد) امتزجت المرأة بالوطن "**لم أقو على الابتعاد أكثر، كانت تختلط ملامحك بملامح نابلس، وأراك. تزمّلت أحلامي وعدت**"[1].

حدّث (فاطمة) عن المشاعر التي انتابته كلما شعر بأنه سيفقد صديقا آخر، فهذا أسامة أصيب في مواجهات البلدة القديمة، ونقله محمد إلى المستشفى أدرك لحظتها أنه سيخسر صديقا آخر، فتذكر صديقه (محمودا) وأصدقاء آخرين فقدهم "**تعالى الصراخ في حنجرتي، أشعر بمخالبه تنغرس في الحلق، يتكثف الدّم ويلتهب الجرح ولا صوت يأتي من هذا الجوف المظلم. فقدت القدرة على النطق وعلى الوقوف أيضا، سحبت رشاش الكلاشينكوف وضعته أرضا، واستندت على الجدار. أمسكت بيده ثانية، أضغط عليها بقوة، وتلاشت اللغة، ماذا أقول أمام سطوة موت لا يرحم، أمام فتك ألم لا هو يعتقه فينسل الموت مسدلا وراءه الستار، ولا يغيبه فيشعر بالراحة قليلا..**"[2]، بهذه الكلمات عبر (محمد) عن مشاعره، وعن حزنه لإصابة صديقه الملقى أمامه ولا يستطيع مساعدته بشيء سوى النظر إليه بصمت وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة.

---

[1] خلف، عفاف: **لغة الماء**، ص19.

[2] خلف، عفاف: **لغة الماء** ، ص57.

بعد استسلامهم نقل هو وأصدقاؤه الأسرى إلى مدرسة جمال عبد الناصر، نقلوا بعدها إلى معسكر حوارة القريب من نابلس، عصبوا أعينهم، وأمروهم بالجلوس أرضا وضع القرفصاء، عذبوهم وعاملوهم معاملة قاسية، انتحل محمد شخصية ابن خالته (فادي) الذي استشهد، ووافق على الخروج من السجن مقابل الحصول على معلومات عن (محمد) ونقلها لهم، استطاع الهروب وجن جنون العدو عندما علموا أنه محمد العربي، ظل الاحتلال يطارده ويحاول الإمساك به.

استشهد (محمد) بطلا من أبطال مدينة نابلس، قتل ضابطا وأصاب آخرين، فقد طوقه الجيش في عمارة الأغبر في المخفية، ظل يقاوم حتى الرمق الأخير ولم يستسلم مثل زميليه، احتمى في سدة إحدى الشقق وهو متسلح بمسدسه، وحين بحث الجنود عنه، أطلق نحوهم الرصاص، أحرقوه بقذائف الإنيرجا.

مثل (محمد) في الرواية صورة الشاب الفلسطيني المقاوم فرغم كل ما تعرض له من ضغوطات، ظل صامدا يحمل سلاحه ويشهره في وجه عدوه، لم يستسلم، قاوم حتى الرمق الأخير، وانتهى به الأمر شهيدا استحق حمل شرف الشهادة بجدارة، وهو بذلك شخصية متطورة في الرواية فلم يبق على وتيرة واحدة من بداية الرواية إلى نهايتها، بل امتلأ بالحيوية والنشاط.

وتعد **الجدة** في الرواية من أهم شخصياتها الثانوية قدمت من حيفا إلى نابلس مشيا على قدميها، يرافقها طفل صغير في العاشرة من عمره، بعد أن قتلت قوات الاحتلال جميع أفراد أسرتها، مثلت الجدة في الرواية الحكمة وثقافة الإرادة الصُلبة، تهجرت لتصدم بشبح الفقر والعوز، وعبء إعالة طفل صغير في مجتمع لا يرحم.

ومازالت الجدة تروي حكاياتها للأحفاد، تعلقهم بالحق الذي فقد، وبالذكريات التي غارت مع أصحابها، ظلت حكاياتها وستبقى حكاية لا يطويها الزمن، وإرثا حاضرا في قلوب أحفادها سينقلونه جيلا بعد جيل، سكنت حيفا في قلبها وعقلها على السواء، وحاولت الجدة طبع حيفا في ذاكرة أحفادها بكل ما اشتملت عليه من أمكنة ومعالم، فحيفا احتلت قدسيتها الخاصة في قلوب أصحابها،

وكأنها مكان مقدس يعطي الأمن والأمان والراحة لمن يدخلها "**تلك جنة الأرض حيفا حين تفتح ذراعيها لتتعمد بالمطر وتعمدنا، تغسلنا من كل الآثام...لا أدري كيف بعدها أصابتنا اللعنات**"[1].

فحيفا جنة الله على الأرض لها قدسيتها الخاصة، شبهتها الكاتبة على لسان الجدة بامرأة مقدسة تغسل كل من يستظل بظلها من الآثام، وبعد رحيلهم عنها حلّ عليهم شرّها وحاصرتهم اللعنات؛ لتخليهم عن مكانهم المقدس.

حين تسرد الجدة حكاياتها لأحفادها عليهم التزام الصمت والإصغاء بشغف وحب، فهي تروي إرثا لأحفادها عليهم الحفاظ عليه في ذاكرتهم حتى يورثوه للأجيال القادمة، "**عدت الحكايات إرثا ستورثه للأحفاد فتنهرهم عند تثاؤبهم في حضرتها أنت ترثين حكاية، ستهدهدين بها أطفالك يوما**"[2].

زرعت الجدة الأمل في نفس (فاطمة)، وبعثت في نفسها حب الحياة من جديد، فقد علمتها بحكمتها كيف تتحكم بكرسيها المتحرك، وتجيره لصالحها بدلا من أن تقع هي ضحيته، فيبقيها عاجزة الجسم والعقل، خانعة مستكينة لإرادته "**وحدها جدتي من علمتني حياكة المؤامرات ليقع الكرسي تحت أسري، ولا أقع تحت أسره**"[3].

فالجدة رغم قسوة وفظاظة ما تعرضت له ظلت قوية صلبة، تحملت بإرادتها الصلبة كل ما تعرضت له من مشاق، وشجعت حفيدتها فاطمة وغرست في روحها بذور الحياة قائلة لها: "**وحدك من يملك إنهاء حياتك، ولا أيّ كرسي في العالم يملك إنهاءك**"[4].

بقيت الجدة تبث حكمتها في شخصيات الرواية، امتلكت مكانة اجتماعية مهمة بين نساء البلدة لكونها تولّد النساء في البلدة، وعلى يديها وبرعاية الله ولد فارس ابن مجيدة، اصطحبت

---

[1] خلف، عفاف: **لغة الماء**، ص4.

[2] السابق ، ص4.

[3] السابق، ص5.

[4] خلف، عفاف: **لغة الماء** ، ص5.

(فاطمة) معها في زياراتها هذه، لكن الأخيره اكتسبت مزيدا من التجارب والحكم إذ لا شيء يغير الإنسان كما الموت والميلاد[1].

أما في رواية **(حبات السكر)** فتوزعت الشخصيات الرئيسة والثانوية وركزت كاتبة الرواية مايا أبو الحيات على شخصية أميمة كشخصية رئيسة وعدد من الشخصيات الثانوية التي أسهمت في بناء أحداث الرواية.

لم تتطرق الرواية للحديث عن جوانب شخصية **(أميمة)** المادية, لكنها ركزت في الوقت نفسه على شخصيتها الجريئة والشجاعة, وهي شابة من مدينة نابلس ترتيبها في المنزل الثالثة على أخواتها, تقرر الذهاب لزيارة حبيبها (عبد الله) في السجن, رغم معرفتها بصعوبة الطرقات, لكنها تعود بخيبة أمل كبيرة؛ لأنها لم تتمكن من رؤيته لوصولها متأخرة. تمتلك القدرة على محاكمة نفسها والآخرين, فهي لا تستطيع أخذ كل ما تسمعه كمسلّمات؛ إنما تستخدم عقلها في طرح الأسئلة التي تعترض طريقها وخاصة الوجودية منها.

تعاني (أميمة) منذ بداية الرواية من مشاكل أسرية تفاقمت حتى انفجرت أخيرا في وجه كل العائلة، و أثر سلبا على شخصيتها ومجرى حياتها. فتختلف شخصيتها وهي خارج البيت عنها في داخله, تتكشف لنا ملامح أخرى في شخصيتها لم نكن نعرفها, فتتحول إلى مخلوق آخر, مخلوق من ورق, وتعلم دائما أن بيتها "**يجلس على قنبلة موقوتة وسوف ينفجر في أي وقت**"[2], لكنها لم تتوقع أنّ هذا الانفجار سيكون اليوم.

عانت (أميمة) هي وأخواتها وأمها من أب ظالم جعل البيت يفقد حيويته ومشاعره, فكل العواطف فيه أصبحت باليةً ورثّةً, كل ما في البيت من مظاهر يؤكد احتراقه وجفافه, فهن يتعرضن في البيت لإهانة الأب المتغطرس والذي يتلفظ بألفاظ نابية لا يمكن لأب حقيقي نطقها, يتعرضن في البيت للضرب والسباب بلا ذنب اقترفنه سوى لكونهن إناثا في مجتمع ذكوري يتحيز دائما للرجل.

---

[1] السابق، ص57.

[2] أبو الحيات, مايا: **حبات السكر**، ص13.

(أميمة) في الرواية لم تنتمي لتيار سياسي معين, فهي بطبيعتها لا تحب الثبات والالتزام, وصفها عبد الله في الرواية بأنها فتاة لا مبدأ لها, وتظهر الرواية الحالة السيئة التي وصلت إليها أميمة من خلال حديثها عن المكان, فالمكان على اتساعه ضاق بها, فنابلس ضاقت بهم وضاقوا بها, لفظتهم المدينة وقيدت حريتهم بفعل ممارسات الاحتلال, فبعد رفع الحظر عن المدينة خرجت أميمة ورأت الناس كأنهم يخرجون إلى الشوارع للمرة الأولى"**تتابع المشهد من سيارة الأجرة, وتكاد تجهش بالبكاء؛ أن يحدد لك متى تجوع, ومتى تمرض, ومتى تقفل فم أطفالك الضجرين**"[1].

(أميمة) تضطر للذهاب إلى طبيب نفسي في رام الله لتحدثه عن مشاعرها ولتخرج ما علق في روحها من ألم ووجع, أخبرته بما خلفه الآخرون بعد غيابهم, كما عبرت له عن ألم فقدهم, وعن ذنوبها واحتراقها بعد فراقهم, عن خوفها من الموت والمجهول, عن الشقاء الذي زرعه موتهم وغيابهم في طريقها, وبعد أن شرحت للطبيب كل ما تشعر به, أخبرها بأنها مصابة باكتئاب مقنع، وهو نوع من الاكتئاب يستطيع الإنسان التحكم به والسيطرة عليه, في نهاية الرواية ترتدي أميمة الحجاب بعد وصولها إلى قناعة تامة به وراحتها النفسية والجسدية بالتواصل مع الله, فقد شعرت بالاستقرار النفسي. تمثل في الرواية شخصية نامية ومتطورة أسهمت في بناء أحداث الرواية والتأثير فيها, كما استطاعت التغلب على ظروف حياتها القاسية بإرادتها الصلبة.

وبدت **الأم** في الرواية وهي إحدى شخصياتها الثانوية منهكة ومتعبة، تجلس على كنبتها المعتادة، يحكي جسدها الهزيل حكاية عذابها، عاشت حياة سيئة مع زوجها القاسي، فلم تذق معه طعم السعادة، أقامت وهي صغيرة في مخيم اليرموك في سوريا، توفي والدها وهي في السابعة عشرة من العمر، أقامت مع أخويها (أحمد وزياد)، وتعرضت للتحرش من قبل زوج أختها الكبيرة، فقررت التخلص من واقعها السيء بزواجها من أول شخص يتقدم لها، تزوجت ولم تكمل دراستها الثانوية، ثم سافرت معه إلى بيروت، واكتشفت هناك أنه إنسان سيء، ويشرب الكحول، وبسبب تعلقها ببناتها ضحّت بكل شيء لأجلهن، لكنها لم تطق العيش معه أكثر، ثم تطلقت منه أخيرا.

[1] السابق، ص26.

عادت وسافرت بعدها إلى سوريا لتسكن مع أخيها زياد، فتزوجت من رجل أرمل وسافرت معه إلى الإمارات العربية المتحدة.

مثلت الأم في الرواية نموذج المرأة الضحية التي وقعت فريسة المجتمع الذكوري، والتخلف، والجهل، فكانت مثال الأم المضحية بحياتها لأجل بناتها، لكنها لم تطق حياتها مع زوجها الذي يعاملها كامرأة منبوذه، ويسلب منها حقوقها، ويمتهن كرامتها هي وبناتها فقط، لأنها لم تنجب له الذكور، فتتمرد على واقعها المرير وتتخلص منه، لتبني لنفسها حياة أخرى.

الشخصيات في رواية **(حبات السك)**ر شخصيات مهزومة وقعت ضحية مجتمع ذكوري لا يرحم، فيلبس المرأة ذنبا لم تقترفه لكونها أنثى، ويحول حياة أسرة كاملة إلى جحيم. أرادت كاتبة الرواية مايا أبو الحيات أن تطلعنا في روايتها على شريحة كبيرة من نساء المجتمع الفلسطيني لتلقي الضوء على ما يتعرضن له من امتهان للكرامة الإنسانية أمام أعين المجتمع، فالجدة في الرواية كانت قاسية وقفت إلى جانب ابنها في أفكار السلطوية فأرادت أن تزوجه كي ينجب لها حفيدا ذكرا يرفع اسم العائلة.

أما في رواية **(حجارة الألم)** فدارت أحداث الرواية حول عائلة (أبي علي) المقيم في قرية عنبتا، وقدوم الوفد المجري بالتعاون مع (كريم) لمساعدة العائلة في قطف ثمار الزيتون، فقد منعهم المستوطنون من الوصول لأراضيهم في الانتفاضة الثانية، يتذكر كريم ابن عنبتا والمقيم في المجر حياته في بلدته ابنان حرب عام 1967 وسقوط بقية مدن فلسطين على يد قوات الاحتلال، وردة فعل الناس على سقوط الجزء المتبقي من فلسطين، فيستعيد ذكرياته مع عائلته، ومحاولتهم الهرب إلى مكان آمن خوفا من الاحتلال، وكان لشخصيات الرواية الرئيسة والثانوية الدور الأكبر في نقل الأحداث، وقد تشاركت الشخصيات في إعطاء صورة واضحة عن مجريات الأوضاع في الانتفاضة.

ويعد **(كريم)** من أهم الشخصيات التي تطالعنا منذ بدء الرواية فهو ابن بلدة عنبتا، تلقى دراسته الجامعية في المجر، واستقر في بودابست، فتزوج هناك وأنجب طفلين، وبعد اندلاع

الانتفاضة قرر الانضمام إلى نشطاء السلام الأجانب، كونه يحمل الجنسية المجرية، اختاره مكتب جمعية التضامن لأنه يجيد تحدث المجرية، وهي اللغة التي يتقنها جزء كبير من سكان مستوطنة عناب المجاورة لقرية عنبتا، لأن معظم اليهود فيها من أصول مجرية وذلك يسهل تفاهمهم مع المستوطنين.

(كريم) الطفل الثامن في عائلته، ولد بعده أخوه بدر وأخته ردينة، بلغ العاشرة من عمره عندما وقعت حرب حزيران، درس اثنان من إخوته الذكور في الخارج وهما عصام وعمر، وعند قدومه لزيارة عنبتا لمساعدة أهلها، تذكر طفولته فيها قبل حرب حزيران وأثناء اندلاعها، فقد قرر والده الهرب إلى قرية كفر رمان خوفا على عائلته من هجوم الاحتلال رغم محاولات الأم منعه من ذلك. عادوا إلى قريتهم؛ لأن الاحتلال قام بتفتيش البلدة ولم يطرد السكان منها.

(كريم) لم يكن في مراهقتهِ كباقي شباب جيله يستعرض نفسه أمام الفتيات، يطاردهنّ، فقد أحس بنضوج عقله وعاطفته في سن مبكرة، فانكب على قراءة الروايات العاطفية لتمتد قراءاته لقراءة كل شيء تقع عليه عينه، وينم ذلك عن شخصية ناضجة واعية فكريا، ساعدته قراءاته المتوسعة على بدء الكتابة، ثم تحول لكتابة الشعر في سن الثالثة عشرة، واستطاع نشر قصيدته الأولى في صحيفة القدس، تلتها قصائد أخرى ثم قصص قصيرة.

حصل على التشجيع اللازم من قبل مدرس اللغة العربية في المدرسة، وعندما لاحظ أن كتاباته بدأت تحمل نوعا من التمرد على المجتمع ومؤسساته بدأ يحذره، أخضع كريم كل المسلّمات للتفكير، وصلت مجادلاته حد الدين فظن الناس أنه وقع تحت تأثير الشيوعيين، ترك كريم الصلاة بعد مواظبته على أدائها منذ طفولته، فقد تربى منذ صغره على المثالية، وعندما كبر وجد هناك تناقضا كبيرا بين مثالياته وما يؤمن به، أثر ذلك لاحقا على قناعاته السياسية، وموقفه من التنظيمات المختلفة، فلم ينتم لأي تنظيم سياسي، وبذلك نرى أننا نقف أمام شخصية ليست عادية وإنما حاولت التمرد على كل ما أحاط بها، وصنعت لنفسها عالمها الخاص بها.

اعتمد (كريم) على نفسه منذ طفولته فقد عمل في صيف عام 1972 داخل فلسطين المحتلة، في غسل الصحون والأواني، وأعجب هناك بفتاة يهودية تدعى (ناؤومي)، مثلت هذه العلاقة بينهما الجانب الإنساني عند الفلسطيني واليهودي، متجنبين بذلك الصراع القائم بين شعبيهما.

اتصفت شخصية (كريم) بالثقة العالية بالنفس، وقدرة على المواجه، فقد عبر بشكل صريح عن رفضه لما يقوم به الاحتلال من ممارسات ضد أهالي قريته، فوجدناه هو ورفاقه يواجهون قرار الاحتلال بإقامة مستوطنة على أراضي عنبتا مستخدمين الحجارة في الدفاع عن أنفسهم، وقد وضح كاتب الرواية مدى علاقة الفلسطيني بالحجر وعمقها قائلا: "**علاقة الفلسطيني بالحجر كعلاقة العاشق بمحبوبته، الحجر بالنسبة له ليس فقط الوسيلة القتالية الوحيدة في مواجهة آلة الحرب الإسرائيلية، بل هو رمز أيضا، رمز للفخر الوطني، لمقاومة المستحيل، من رأى فتيانا يواجهون دبابة إسرائيلية يفهم رومانسية العلاقة**"[1]، فالحجارة إذن لم تشكل للفلسطيني سلاحا فحسب، أو وسيلة من وسائل المقاومة، بل أثبت الفلسطيني من خلالها مختلف أثبت الفسطيني من خلاله أحقية وجوده على هذه الأرض ودفاعه المستميت عنها.

مثّل (كريم) في الرواية نموذج الفلسطيني المقيم في الخارج، والذي أتى ليشارك الأجانب في حماية الفلسطينيين الذين يتعرضون لانتهاكات حقوقية، وأدرك هو والوفد المَجَرِيّ أن مشكلة الفلسطيني لا يمكن حلها.

ويعد (**أبو علي**) من أهم شخصيات الرواية الثانوية، فهو مثال الأب المتمسك بالتقاليد والعادات والمحافظ عى أصالته، ظهر في الرواية يرتدي زيه التقليدي الفلسطيني، القنباز، والجاكيت ويضع على رأسه كوفية وعقالا، أحسن استضافة الوفد الذي أتى لمساعدته في قطف الزيتون المجاور للمستوطنة.

[1] حامد، أنور: **حجارة الألم**، ص121.

وتمثل **(أم علي)** في الرواية مثال الأم المتعلقة بأبنائها، والتي تخاف عليهم، لم تتجاوز الخامسة والخمسين، ارتدت ثوبا فلاحيا أبيض، على صدره تطريز جميل، وفوقه ثوب آخر من (القطيفة) يسمونه (مخمل)، وتغطي رأسها بغطاء أبيض يسمى (خرقة)، فهي ما زالت ترتدي الزي التراثي الذي ورثته عن أجدادها. استشهد ابنها علي على يد أخ (لينورا)، جنت أم علي بعد هذا الحادث وأصبحت تجوب الشوارع من الصباح إلى المساء باحثة عن ابنها علي.

أما في رواية **(عودة الموريسكي من تنهداته)** توزعت الشخصيات في الرواية بين زمنين وهما: زمن حكم المسلمين العرب في الأندلس, وزمن ذهاب موسى الفلسطيني لزيارة الأندلس ثم عودته إلى فلسطين زمن الانتفاضة الثانية والمشاركة في المقاومة أثناء الاجتياح, وبذلك ينتقل الكاتب بين زمنين الماضي والحاضر، ثم يعود إلى الماضي موحدا بين الشخصيات الماضية والحاضرة معا. ركزت الرواية على شخصيتين محوريتين هما: (موسى بن أبي الغسان الأندلسي)، و(موسى) الفلسطيني، وعدد من الشخصيات الثانوية التي شاركت في بناء أحداث الرواية وإيصالها للمتلقي، لكننا سنكتفي بالحديث عن الشخصيات النابلسية الواردة في الرواية وتحديدا شخصية (موسى) النابلسي.

أما **(موسى عمران)** فهو طالب فلسطيني حصل على منحة دراسية من إسبانيا للدراسة في جامعة غرناطة, وعند زيارته لمدينة مدريد أعجب بها وذهل بجمالها، وأعجب بحرية الفرد فيها, بعد تجوله في غرناطة بدت له مألوفة وقريبة من قلبه, وكأنه يألف هذ المكان. وفي محاضرة التاريخ استحوذت شخصية (موسى بن أبي الغسان الأندلسي) على تفكيره، وأخذ يبحث عن معلومات عنها، لكنه وجد المعلومات عنه شحيحة، وهي عبارة عن سرد خاص لأواخر أيامه.

ويتعرّف في إسبانيا على (جسيكا)، ويشاهد هناك ما خلّفته الحضارة العربية الإسلامية من تراثٍ معماري راقٍ، يتقمص (موسى) في الرواية شخصية (موسى بن أبي الغسان)، ويترك الكاتب المجال للطبيب النفسي الذي عمل على تشخيص حالة موسى الفلسطيني كي يروي لنا قصّته، وبعد ذلك يعود (موسى) إلى فلسطين التي كانت تغلي بها المواجهات وتمور بالصراعات الدامية عقب عمليات الاجتياح التي شملت معظم مدن الضفة الغربية في الانتفاضة الثانية، وينضوي موسى تحت لواء المقاومين ويظل يقاتل حتى آخر نفس، وفي خاتمة الرواية تتعرف (جسيكا) الفتاة الإسبانية التي تبعته إلى فلسطين على جثّته.

مثلت شخصية (موسى) في الرواية الشخصية البطلة التي ماتت بحرب للتركيز على البطولة والمقاومة، وحتى إن ماتت فهي لن تُهزَم، (فموسى) الفلسطيني البطل إنسان من لحم ودم، يحب ويمشي في الأسواق، وفي الوقت نفسه يختصر حياته سريعا في الدفاع عن أرضه ومقدساته، وكذلك هو إنسان منفتح على العالم ثقافة وحياة، فمن الممكن وهو يحارب الاستعمار أن يحب امرأة غربية.

ب_ الأنا والآخر في روايات حضور نابلس

يعتبر الأدب ذاك الباب الواسع المفتوح الذي يحمل في داخله العديد من الفنون الأدبية التي تمكن المبدع من خوض تجربة الإبداع والإنتاج للتعبير عن سائر الأفكار والخواطر بأسمى الأساليب الكتابية وأرقاها، ويعد الفن الروائي أحد أبرز هذه الأدبيات، كونه يسمح للباحثين سبر أغوار التجربة والإبداع بمختلف الأساليب والتقنيات[1].

ولقد شكل حضور الأنا والآخر في الرواية العربية ظاهرة أدبية شغلت اهتمام النقاد والدارسين، فبغض النظر عن توظيف الأنا في الرواية في هذا الوقت أو ذاك، تظل دلالات الأنا متشابهة؛ لأنها تحاكي ذلك الآخر في أي صورة من الصور، مما جعل الرؤى النقدية تتماهى لمحاولة الخروج بقراءات أثرت في هذا المجال واستوعبت تحولاته[2].

مفهوم الأنا

إن لتوظيف الأنا دلالات تكاد تكون متشابهة، إذا لم تكن واحدة، فهي الالتفات إلى الذات المبدعة وهذا ما استدعى دراسة سلوك الفرد ومعرفتة الطاقة التي تكمن وراء تفاعلاته مشكلا بذلك الأنا[3].

---

[1] ينظر: رواق، **نور الهدى: الأنا والآخر في ديوان أبي نواس، الجزائر**: جامعة محمد- خيضر-بسكرة، رسالة ماجستير، 2015-2016، ص أ.

[2] ينظر: السابق، ص أ.

[3] ينظر: السابق، ص8.

وتعرف "الأنا لغة" كما وردت في لسان العرب بأنّها: "**اسم مكنّى، وهو للمتكلم وحده، وإنما يبنى على الفتح فرقا بينه وبين أن. التي هي حرف ناصب للفعل، والألف الاخيرة إنما هي لبيان الحركة في الوقف**"[1].

ولقد ورد في المعجم الوسيط بمعنى: "**ضمير رفع منفصل للمتكلم، أو المتكلمة**"[2]. فالأنا وصف للشخص المؤنث أو المذكر على حدّ سواء مصورا لذاته وعاكسا لشخصيته. وهذا ما جاء في معجم المحيط:"**ضمير رفع منفصل للمتكلم مذكرا ومؤنثا، مثناه وجمعه نحن**" [3].

أما في الاصطلاح فتعرّف الأنا بأنها:"**مصطلح مراوغ يستعصي على التعريف والحد الاصطلاحي لأنه يدخل في مشاركة كبيرة في أغلب الفروع الإنسانية (الفلسفة، علم النفس، علم الاجتماع، علوم العربية...الخ**"[4] وبذلك يصعب حصر مفهوم الأنا في تعريف واحد جامع.

تداخل مصطلح الأنا عند الفلاسفة العرب بين النفس والعقل، ويعبر عن ذلك يوسف حداد قائلا: "**تطابقت الأنا مع الذات المفكرة بوصفها عقلا، وقد تأرجحت الأنا بين العقل والنفس في الفلسفة العربية حتى أصبحت أقرب إلى النفس منها إلى العقل**"[5].

ويرى (روني ديكارت) بأن الفكر مرتبط بالوجود فكوننا موجودين يعني أننا نفكر دائما في صحة الأشياء من حولنا ويعبر عن ذلك قائلا:"**أنا أفكر إذن أنا موجود**"[6].

---

[1] ابن منظور: **لسان العرب**، ط1، بيروت: دار صادر، 2000، ص38.

[2] مصطفى، إبراهيم وآخرون: **المعجم الوسيط**، تركيا: المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، ص28.

[3] البستاني، بطرس: **محيط المحيط**، لبنان: مكتبة لبنان، 1987، ص18.

[4] حداد، عباس يوسف: **الأنا في الشعر العربي (ابن الفارض نموذجا)**، ط2، اللاذقية: دار الحوار للنشر والتوزيع، 2009، ص187.

[5] السابق، ص102.

[6] سليماني، أحمد ياسين: **التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر المعاصر**، ط1، دمشق: دار الزمان للنشر والطباعة والتوزيع، 2009، ص192.

مفهوم الآخر

إن الحديث عن الآخر يعني الحديث عن أنا أخرى منظور لها من قبلي أنا، لأن كل ذات تتحول من أنا إلى آخر حسب زاوية النظر التي تشاهد منها لذلك وردت عدة تعريفات في تحديد الآخر[1].

ويعرف الآخر لغة كما جاء في لسان العرب:"**أحد الشيئين وهو اسم على أفعل(...) والآخر بمعنى غير، كقولك رجل آخر وثوب آخر وأصله أفعل من التأخر، فلمّا اجتمعت همزتان في حرف واحد استثقلتا فأبدلت الثانية ألفا لسكوتها وانفتاح الأولى قبلها، وتصغير "آخر" أويخر، والجمع آخرون، ويقال هذا آخر وهذه أخرى في التذكير والتأنيث...**"[2]. ويعني الآخر في المعجم الوسيط:"**تأخر، والشيء جعله بعد موضوع هو الميعاد أجله (تأخر) عنه جاء بعده، وتقهقر عنه ولم يصل إليه، والآخر أحد الشيئين، ويكونان من جنس واحد**"[3]. ومن هنا نستنتج أن الآخر جاء بمعنى الغير والمخالف.

أما في القاموس المحيط فورد الآخر بمعنى:"**الآخر في الأصل الأشد تأخرا في الذكر ثم أجري مجرى غير، ومدلول الآخر وأخر معه لم يكن الآخر إلا من جنس ما قلته، (...) وقولهم جاءني في أخريات النّاس وخرج في أوليات الليل يعنون به: الأواخر والأوائل**"[4]. ويتضح لنا من هذه التعريفات الأولية أنه ليس للآخر دلالة سوى الغيرية والمخالفة والمعارضة.

أما في الاصطلاح فيظهر الآخر في أبسط صوره نقيضا للذات (الأنا) فهو كل ما كان موجودا خارج الذات المدركة ومستقلا عنها، وارتبط الآخر بموضوعات أساسية في تاريخ الفكر والعلوم الإنسانية كافة (الأنا/الذات–الهوية)[5].

---

[1] ينظر: رواق، نور الهدى: **الأنا والآخر في ديوان أبي نواس**، ص.

[2] ابن منظور: **لسان العرب**، ص13.

[3] إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، ص9.

[4] البستاني، بطرس: **محيط المحيط**، ص5.

[5] ينظر: حميش، بن سالم: **في معرفة الآخر**، ط2، سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع، 2003، ص5.

ويرى (ساتر) في تعريفه للآخر "**أن وعي الذات الوجودي يكون بناء على الطرف الآخر، بل ينطوي على عداء يدمر إنسانيتين، لأنه يربط الكينونة بطريقة جبرية وغير مستقلة بين ما كان وما سيأتي**"[1]. والآخر بالنسبة له هو الجحيم ويعني بذلك أن العلاقات إذا كانت مع الآخرين ملتوية وفاسدة فلن يكون الآخر إلا الجحيم[2].

ويرى (فوكو) الآخر "**متعلقا بالذات تعلقا لا فكاك منه، شأنه في ذلك شأن ارتباط الحياة بالموت، فالآخر بالنسبة إلى "فوكو" هو الهاوية أو الفضاء المحدود الذي يتشكل فيه الخطاب**"[3]. وهذا يعني أن الآخر هو الموت بالنسبة للجسد الإنساني.

ومما تقدم يتضح لنا أن تعريف مصطلح الآخر يتعين حسب الذات مما يجعل الآخر مختلفا عنها ولذلك فإننا لا نستطيع تحديد الآخر في صورة واحدة لكونه فقط يختلف عن الأنا يقول أبو شعيب الساوري: "**الآخر هو الذي يخالف الذات والعقيدة والثقافة ويظهر الآخر كالمستعمر للأنا والعلاقة معه محكومة بالتصادم والمواجهة**"[4].

ويورد (الطاهر لبيب) رأية عن الذات والآخر قائلا: "**إن البحث عن الذات أو تأكيدها عبر بناء صورة الآخر ليس أمرا خاصا بثقافة دون أخرى. وإن الموقف الفكري من الغرب هو تعبير عن تلازم بين العداوة والإعجاب، على الأقل منذ تساءل الشرقي عن سرّ تخلفه وتقدم الغرب**"[5].

وبذلك نستنتج مما سبق أن الآخر هو الغير سواء كان خصما أو عدوا أو صديقا أو محبا، فلا يمكن للأنا أن يعيش منفصلا عن الآخر فهما متلازمان[6].

---

[1] الرولي، ميجان، والبازعي، سعد: **دليل الناقد الأدبي (إضاءة لأكثرمن تسعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا)**، ط5، بيروت: المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، 2007، ص22.

[2] سارتر، جان بول: الجحيم و الآخرون، مقال مترجم. http://elmawja.com/blog/الجحيم-هو-الآخرون-جون-بول-سار

[3] الرولي، ميجان، والبازعي، سعد: **دليل الناقد الأدبي (إضاءة لأكثرمن تسعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا)**، ص22.

[4] الساوري، بو شعيب: **تمثيلات الهوية والآخر قراءة ثلاثة نصوص روائية في الرواية الجزائرية**، ط1، رابطة أهل العلم، 2008، ص52.

[5] لبيب، الطاهر: "**الآخر في الثقافة العربية**"، **في كتاب صورة الآخر: العربي ناظرا ومنظورا إليه**، تحرير الطاهر لبيب، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1999، ص196.

[6] ينظر: رواق، نور الهدى: **الأنا والآخر في ديوان أبي نواس**، ص16.

الأنا والآخر في روايات حضور نابلس

ستتناول الباحثة في هذا الجزء حضور الأنا والآخر في الروايات موضع الدراسة متحدثة عن الأنا الفلسطيني والآخر التركي، والأنا الفلسطيني والآخر الأجنبي، والأنا والآخر اليهودي، مبينة كيف ينظر هؤلاء إلى الفلسطينيين العرب، وكيف يعاملونهم. كما ستبرز موقف الفلسطيني من الآخر المعادي والآخر المحب للسلام والمؤمن بأحقية الفلسطيني في العيش على أرضه بأمن وسلام.

صور لنا هاني أبو غضيب في روايته **(نابلس الجمر والرماد)** الكيفية التي تعامل بها الأتراك مع العرب والفلسطينيين فقد عاملوا العرب بقسوة وشدة، فسكان بلاد الشام لم يكونوا بالنسبة لهم أكثر من منبع للجنود "سفر برك"، ومصدر لتموين الجيش وأعمال الحربية التي تنشأها الدولة هنا وهناك، وأيضا مصدر مادي كبير من خلال الضرائب التي كانت تفرضها على السكان، وهذا كلّه يجعل الحكم التركي جائرا بحق العرب والمسلمين، ولهذا انعدم الودّ بين العربي والنظام التركي. ويقدم لنا الراوي/أبو الأمين الواقع العربي قائلا: "**فطن إلى الحرب، فهي الملعون الأكبر..وهي التي حولت حياته إلى جحيم...بعد أن سحب الأتراك ابنه حافظ إلى العسكرية التي ذهب إليها طائعا مختارا راغبا في ردّ العدوان عن الدّولة ومنتصرا لخليفة الإسلام**"[1].

والمشهد السابق يؤكد حالة الاضطهاد التي يتعامل بها الأتراك مع العرب، والنظرة الدّونية التي ينظرون إليهم بها. فيستغل العنصر التركي العربي في خوض الحروب، ويحمّله مسؤولية أيّ هزيمة تقع، كأنهم هم قادة تلك الحروب والمعارك. ورغم هذه النظرة الدونية والمعاملة السيئة يذهب مجموعة من الشباب العربي طائعين مختارين إلى الحرب رغبة منهم في الانتصار لخليفة الإسلام مثل (حافظ)، لكنه في الغربة سرعان ما يدرك واقعه المرير هناك فقد "**خالطه شعور بأنه جزء من كومة العبيد التي تساق إلى حرب لا يعرف أطرافها، ولا أسبابها، ولا نتائجها!!**"[2].

---

[1] أبو غضيب، هاني: **نابلس الجمر والرماد**، ص10.

[2] السابق، ص41.

وفي موطن آخر من الرواية يقدم لنا الراوي صورة الفلسطيني مقابل الآخر الأجنبي، فالفلسطيني يرفض المشاركة في قتل الناس في الحرب، ويعمل على حمايتهم رغم ما يواجهه من خطورة أثناء الحرب في بوخارست وما صاحبها من عمليات تصفية قام بها الألمان والأتراك، فنجد (حافظ والأتيرة) يقومان بحماية أسرة من التصفية بعد إيهام الجنود بأنه تم تفتيش المنزل ولم يوجد به أحد "**دخل ورفيقه بيتا...سبقا رفاقهم...أشار حافظ لسكان البيت بأن يصعدوا إلى الطابق العلوي، وحين وصل بقية الجنود تظاهر الأتيرة بالصعود إلى أعلى للتفتيش**"[1]. فرغم ما يعانيه الجندي في الحرب فهو لم يفقد إنسانيته ويقدم الحماية للآخرين ويساعدهم، وبالتالي يكون دوره إيجابيا وفاعلا.

كما تعرض لنا الرواية صورة الفلسطيني السمسار الذي يبيع أرضه لكي تزيد ثروته ويغنى مقابل اليهودي المستعمر المتمسك بأحقيته بهذه الأرض، فهو يعتبر فلسطين أرضه التي لا يمكنه التنازل عنها ويقدم لنا قصة "**اليهودي الذي يملك أرضا في يافا والعربي الذي يملك أرضا في تل أبيب..اتفقا على تسوية الأمر..أن يتبادلا القطعتين..بعد أن تنازل العربي عن أرضه طلب منه أن يتمم الصفقة فرفض بعناد مفاجئ:**

-أنا أتنازل عن أرضي لعربي هذا محال..سأتنازل ليهودي وهو يتنازل لك..

ذهبا إلى سماسرة وتجار وعمال يهود لم يقبل أي منهم أن ينفذ طلبهما.."[2].

أما في رواية(**ربيع حار**) فيعجب أحمد الفلسطيني، بفتاة يهودية شقراء جميلة مثل اللعبة، وتصبح بعدها (ميرا) شغله الشاغل، ومن خلال علاقة الحب التي نشأت بينهما على سياج المستوطنة تمثل (ميرا) النموذج الممتاز لإمكانية التعايش بين الشعبين وإقامة علاقات طبيعية وحتى علاقات حب، فعلاقة (ميرا) بأحمد تعدت كل الحواجز والموانع وظلّ الواحد منهما يحتفظ للثاني بمكانة خاصة.

---

[1] أبو غضيب، هاني: **نابلس الجمر والرماد**، ص181.

[2] السابق، ص281.

برزت صورة الآخر اليهودي المستعمر في رواية **(ربيع حار)** جلية واضحة وأشارت الرواية لمدى همجية الاحتلال وقسوته في التعامل مع الفلسطيني المحاصر وتظهر هذه الصورة من خلال الحوار الذي دار بين (أحمد) و(أم سعاد) "**فقدنا كل شيء يا أم سعاد. فقدنا كل شيء. البلد خرابة والناس طردوهم من بيوتهم والفلاحون خلعوا شجرهم ودّمروا البيوت ونسفوا مساجد وجرحوا المئات واعتقلوا الألوف. ما ظل ولا شيء نعيش من أجله**"[1].

أما في رواية **(عودة الموريسكي من تنهداته)** فتظهر صورة المحتل وهو يتقدم من بيت إلى بيت في حارات البلدة، ويعبر السارد عن ذلك قائلا: "**ساعة إثر ساعة، كان الإسرائيليون يتقدّمون من بيت إلى بيت، ومن حارة إلى حارة، ومن زقاق إلى زقاق. كانت لديهم قنابل صغيرة تثقب الحائط، يدخلون إلى البيوت ليفاجئوا العائلات في غرفها**"[2].

ومقابل صورة اليهودي المعادي والذي يمارس أشرس أنواع التعذيب بحق الفلسطيني، تظهر نماذج إنسانية تحمل مبادئ وقيما إنسانية سامية، مثل الجندي الفتى الذي لم يستطع إهانة أم سعاد وابنتها عندما أوقفتهم الدورية الإسرائيلية وتردد في كلامه وتعامله، وكان ينظر بخجل تجاه أم سعاد وسعاد وكأنه يطلب الصفح. وأخيرا انفجر باكيا أمام مشاهد التدمير والقتل.

أما في رواية **(الفئران)** فتظهر لنا صورة ضابط المخابرات الإسرائيلي الكابتن سامي والكيفية التي يتعامل بها مع مخبريه وأعوانه من الفلسطينيين، فهم ليسوا أكثر من وسيلة لتحقيق غاية، وبعد الحصول على تلك الغاية يُرمى بهم في سلّة المهملات، فنهاية الملهوف تكون القتل على يد مجهول بعد تمرده وعصيانه لأوامر الاحتلال، وأما عمري فيستجدي الضابط سامي كي يساعده على الانتقال إلى إسرائيل لتلقي العلاج من مرض فيرده خائبا:

_ "أنا بحاجة إلى مساعدتك للعلاج في إسرائيل.

_ إحنا بنعالج المرضى في مستشفياتنا على حسابهم وحساب السلطة.

---

[1] خليفة، سحر: **ربيع حار**، ص275.

[2] عدوان، عدوان: **عودة الموريسكي من تنهداته**، ص115.

_ لكن أنا يا كابتن أعمل معكم في خدمتكم.

_ إنت بتعمل مقابل مال واحنا بنعالج مقابل مال، أنت عربي، وأقفل الخط في وجه عمري"[1].

فالعميل بعد انتهاء مهمته يصبح زائدا عن الحاجة لا قيمة له فيُرمى كقمامة على المحرقة.

وفي رواية **(عودة الموريسكي من تنهداته)** تظهر صورة العميل الذي يحدّد للمحتل كلّ تحركات المقاومين وأماكن تحصنهم، عن طريق الهواتف النقالة، يعبر السارد عن ذلك قائلا: "**الطابور الخامس من الجواسيس الذين احتشدوا بين المقاومين بحجة المقاومة، وجواسيس البلدة القديمة الكامنين في بيوتهم، لم يدّخروا جهدا في الإرشاد على الأزقة والأنفاق، وفي تثبيط روح المدينة ببثّ الإشاعات**"[2].

ومقابل العميل الخائن تظهر شخصيات فلسطينية مقاومة تفضل الموت على الاستسلام أو السجن مثل (محمد العربي) بطل رواية لغة الماء والذي مثل نموذج الفلسطيني المقاوم فقد استشهد بطلا من أبطال نابلس قتل ضابطا وأصاب آخرين ولم يستسلم خرج "**عريسا في يوم الزفاف، نابلس كلها خرجت عن بكرة أبيها لوداعه**"[3].

أما في رواية **(حياة ممكنة)** فتظهر شخصية الآخر اليهودي الحاقد المتطرف جلية واضحة متمثلة (بدوفي حاييم) فقد قدم وثلاثة من أصدقائة المتطرفين وجابوا معرض نرجس، فعادت بها الذاكرة إلى كل مواقفه المتطرفة والعنصرية، وأكثر المواقف تأثيرا وإيلاما في نفسها فقبل عامين "**قام بإتلاف أحد الأعمال، كانت لوحة زيتية تجريدية مليئة بأشخاص وأحداث احتشدت في ذاكرتي لتسقط دفعة واحدة على مساحة من قماش الكتان. كانت أحب الأعمال الفنية إلى نفسي**"[4]. شاهدته (نرجس) في المعرض يتوعدها بنظراته التي تقطر حقدا وكراهية. وبعد عودتها للمنزل نشب حريق كبير في بيتها ابتلع كل شيء.

---

[1] دويكات، عباس: **الفئران**، ص270.

[2] عدوان، عدوان: **عودة الموريسكي من تنهداته**، ص114.

[3] خلف، عفاف: **لغة الماء**، ص167.

[4] عيسى، إسراء: **حياة ممكنة**، ص99.

وفي موطن آخر من الرواية تظهر صورة الآخر الذي يرسم للفلسطيني ممرات إجبارية، فيقلب فرح الفلسطيني إلى حزن وعرسه إلى مأتم، وطموحه إلى يأس وإحباط، ويقتل بسلاحه أحباءه كما حدث مع (زياد) بطل الرواية "**يا إلهي، إني أستغفرك وأستعين بك. ألا يكفي أننا حتى الآن، والحرب في أسبوعها الثاني، ما زلنا نعيش مع جثة أبي المتوفى؟ ثلاثة أيام مرت دون أن يدخل أفواه إخوتي شيء يقهر جوعهم. كل شيء يؤكل في البيت نفذ. وكل وسيلة اتصال بالعالم الخارجي تلاشت. فتات هاتف. وبيت طمر تحت الردم. بلا فسحة ضوء، ولا شكل من أشكال الحياة**"[1].

أما في رواية **(حجارة الألم)** لأنور حامد فتبرز صورة الآخر المستوطن وأسباب وجود المستوطنات في الضفة والهدف من بنائها كبؤر صراع ومواجهة بين الفلسطينيين والمستوطنين علما بأنه تم السيطرة على ثلاثة أرباع فلسطين التاريخية عام 1948 "**...قرروا بناء المستوطنات فوق القرى وحول المدن جلبوا إليها عتاة المتعصبين وأناطوا بهم مهمة خلق البلدات الفلسطينية من جهة وفرض أمر واقع يصعب تجاوزه في أي حل سياسي مستقبلي من جهة أخرى**"[2].

كما تُبرز الرواية صورة هؤلاء المستوطنين الذين لا يعرفون لغة غير لغة التهديد والوعيد فهم "**لا يرون أي شيء إلا من خلال توراتهم، وهي غير التوراة التي أؤمن بها**"[3]. واعتمد هؤلاء على فكر ديني توراتي اعتبروه أساسا عقائديا يمنحهم الحق لكي يتمادوا أكثر بحق الفلسطيني لكونهم يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار، وهو الذي منحهم فلسطين، "**نحن لا نعترف إلا بقانون واحد، قانون الرب، هو أعطانا هذه الأرض**"[4].

أما جيش الاحتلال في الرواية فلم يكن أقل عنفا أو شراسة من المستوطنين، بل مارس الطرق كافة ليوقع أكبر قدر من الضرر بالفلسطينيين، فمارسوا سياسة الاعتقال، والهدم، وحولوا حياتهم إلى جحيم، عن طريق التضييق عليهم ووضع الحواجز والعراقيل في طريقهم، فهذا أبو فؤاد

---

[1] عيسى، إسراء: **حياة ممكنة**، ص47.

[2] حامد، أنور: **حجارة الألم**، ص114.

[3] السابق، ص21.

[4] السابق، ص47.

الفلسطيني المريض يموت على الحاجز بسبب مماطلة جنود الاحتلال ومنعه من الذهاب للمستشفى.

ومقابل المستوطن المعادي للفلسطيني تظهر صورة اليهودي/المستوطن الذي ينشئ علاقة مع الفلسطيني ففي بداية السبعينيات من القرن الماضي تنشأ علاقة بين الفلسطيني كريم والفتاة اليهودية (ناؤومي) لتجسد الجانب الإنساني عند الفلسطيني واليهودي. وفي الانتفاضة الثانية تنشأ علاقة أخرى بين علي و"لينورا" والتي تنتهي بمقتل علي الفلسطيني وإصابة (لينورا) بجراح بعد أن أطلق شقيقها بنيامين النار عليها وعلى علي، (فبنيامين) يمثل نموذج المستوطن المتعصب الذي يرفض إقامة علاقة مع الفلسطيني. ويقابل (بنيامين) شخصيات يهودية أخرى حاربت الاحتلال والاستيطان ووقفت بجانب الفلسطيني مثل (ليا) المتطوعة اليهودية والمعروفة عند الجنود الإسرائيليين، و(إيفا وأندراش) وهما يهوديان من أصل مجري تطوعا لمساعدة الفلسطينيين ومساندتهم في حربهم مع اليهود.

أما في راية **(عودة الموريسكي من تنهداته)** فتظهر صورة (كامل السامري) الذي لا يعترف بالصهيونية ولا بإسرائيل قائلا: "**نحن لا نعترف بالصهيونية ولا بإسرائيل ولا بيهوديتها ولا بتوراتها، فلنا توراتنا الخاصة التي تقول إن هيكل سليمان، الذي تزعم به إسرائيل موجود في جبل جرزيم، وليس تحت المسجد الأقصى**"[1]

[1] عدوان، عدوان: **عودة الموريسكي من تنهداته**، ص28.

الخاتمة والتوصيات

حاولت هذه الدراسة الوقوف على حضور نابلس في الرواية الفلسطينية الحديثة، مبرزة أهم أمكنتها، ومدى حضور الانتفاضة فيها؛ لكونها أهم حدث ألمّ بالفلسطينيين وحول حياتهم إلى جحيم، وأبرز عاداتها وتقاليدها السائدة في المجتمع، وشخصياتها الرئيسة والثانوية، وحضور الأنا والآخر فيها، وقد خلصت إلى النتائج الآتية:

- أثبتت الدراسة مدى تنوع الأمكنة الروائية, وتوزعها بطريقة مختلفة تبعا لموضوع كل رواية, لكن المكان الأبرز والأهم في الدراسة, والذي ركزت عليه معظم الروايات هو مدينة نابلس وبلدتها القديمة التي حضرت حضورا واسعا, فكان لابد من تسليط الضوء على ما جرى لهذه المدينة وأمكنتها وما طرأ عليها من تغيرات, وإن كانت نابلس وبلدتها المكان الأبرز والأهم في الدراسة، مع أن الأماكن الأخرى لم تكن هامشية، حيث كان لها التأثير البالغ في رسم سلوكيات بعض الشخصيات ونفسياتها؛ فقد ترك كل مكان بصمته الخاصة واتخذ دلالته الذاتية، ونجد الأمكنة تتنوع في كل رواية بين أمكنة مفتوحة وأمكنة مغلقة.

- وضحت الدراسة مدى حضور الانتفاضة، وتعدد مظاهرها، ومن أهم مظاهرها التي بدت جلية وواضحة: استعدادات البلدة القديمة قبل الاجتياح، اجتياح نابلس والمخيمات المحيطة بها، الاعتقال، سقوط الشهداء والجرحى، سرقة المحال التجارية وغيرها من المظاهر الأخرى.

- صورت الدراسة أهم العادات والتقاليد السائدة في المجتمع النابلسي من لباس شعبي سائد عند الرجال والنساء في العهد التركي، وطقوس العيد، وبعض الأكلات الشعبية، وطقوس شهرَي شعبان ورمضان، وموقف المجتمع من المرأة المطلقة والأرملة وغير المتزوجة وغيرها من العادات الأخرى.

- تعددت الشخصيات النابلسية الرئيسة والثانوية في الدراسة، وشملت نماذج وشرائح مختلفة من فئات المجتمع النابلسي التي كان لها دورها في سرد أحداث الروايات، واستطاعت الشخصيات

بذلك إعطاء صورة واضحة عن النماذج النابلسية المختلفة كالبطل والشهيد والمناضل والعميل وغيرها من النماذج الأخرى.

- توصلت الدراسة إلى الحديث عن مدى حضور الأنا (الفلسطيني) والآخر(التركي والأجنبي والإسرائيلي) في الروايات موضع الدراسة، موضحة لنا كيف ينظر الآخر إلى الفلسطيني وكيف يعامله، ومبرزة موقف الفلسطيني من الآخر المعادي والآخر المحب للسلام والمؤمن بأحقية الفلسطيني فيالعيش على أرضه بأمن وسلام.

- استوحى كتاب الروايات في الدّراسة بعض الشخصيات الروائية من شخصيات حقيقية واقعية، ولكنهم أضافوا إليها الأبعاد الخيالية والفنية والرمزية بما يخدم أهداف الروايات ويتناسب مع أحداثها.

التوصيات

-توصي الباحثة الدارسين للقضية بدراسة رواية نابلس ومستواها الفني نظرا لأهمية الموضوع .

المصادر والمراجع

المصادر

1- القرآن الكريم.

2- البشاري، محمد: **أحسن التقاسيم**، ط3، القاهرة: مطبعة مدبولي، 1991.

3- حامد، أنور، **حجارة الألم**، ط1، رام الله: دار أوغاريت،2005.

4- أبو الحيات، مايا، **حبات السكر**، ط1، رام الله: المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي،2004.

5- خلف، عفاف: **لغة الماء**، ط1، رام الله: منشورات مركز أوغاريت الثقافي، 2007.

6- خليفة، سحر: **ربيع حار**، ط1، رام الله: مركز أوغاريت الثقاغي للنشر والترجمة، 2004.

7- دويكات، عباس، **الفئران**، ط1، نابلس: دار الفاروق، 2014.

8- الدمشقي، شمس الدين: **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، ط1، ألمانيا (ليبزج): أوتوهاراوتس، 1923.

9- عبد الهادي، سهاد: **ذاكرة زيتونة**، ط1، نابلس: دارالفاروق،2007.

10_ عدوان، عدوان، **عودة الموريكسي من تنهداته**، ط1، رام الله: مركز أوغاريت الثقافي، 2010.

11_ عيسى، إسراء: **حياة ممكنة**، ط2، البيرة: منشورات وزارة الثقافة الإدارة العامة للآداب والنشر، 2013.

12- أبو غضيب، هاني: **نابلس الجمر والرماد**، ط1، نابلس، 2007.

13_ القلقشندي، أبو العباس: **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**: ج2، دار الكتب المصرية، 1922.

المراجع العربية

1- أحمد، حفيظة: "**بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية 2000-1950**"، ط1، رام الله: منشورات مركز أوغاريت الثقافي، 2007.

2- أحمد، نادر عبد الخالق: **الشخصية الروائية بين علي أحد باكثير ونجيب الكيلاني " دراسة موضوعية وفنية"**، ط1، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، 2010.

3- اشتية، محمد: **موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية**، عمان: دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، 2011.

4- بو عزة، محمد: **تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم)**، ط1، الجزائر: دار الاختلاف، 2010.

5- الجابري، محمد عابد: **التراث والحداثة**، دط، الدار البيضاء: المركز الثقافي، 1992.

6- الجبوري، عبد الكريم: **الإبداع في الكتابة والرواية**، ط1، دمشق: دار الطليعة الجديدة، 2003.

7- حداد، عباس يوسف: **الأنا في الشعر العربي (ابن الفارض نموذجا)**، ط2، اللاذقية: دار الحوار للنشر والتوزيع، 2009.

8- حميش، بن سالم: **في معرفة الآخر**، ط2، سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع، 2003.

9- خليفة، إبراهيم: **علم الاجتماع والمدينة**، الاسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1983.

10_ درغوث، ليلى: **المكان والزمان في يوميات نائب في الأرياف**، مجلة الحياة الثقافية، ع: 58، 1990.

11- دودين، رفقة محمد: **خطاب الرواية النسوية العربية المعاصرة: ثيمات وتقنيات**، عمان: أمانة عمان الكبرى، 2007.

12_ رشوان، حسين: **المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري**، الاسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 2005.

13_ الرولي، ميجان، والبازعي، سعد: **دليل الناقد الأدبي (إضاءة لأكثرمن تسعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا)**، ط5، بيروت: المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، 2007.

14_ الزرو، نواف: **نابلس تتحدى الحصار قصة صمود أسطوري في مدينة جبل النار**، عمان: المكتبة الوطنية، 2004.

15_ زعرب، صبحية عودة: **غسان كنفاني: جماليات السرد في الخطاب الروائي**، عمان: دار مجدلاوي، 2006.

16_الزيتاوي، محمود عبد الحفيظ: **إضاءات من التراث الفلسطيني سنديانة جبل النار زيتا أم الكروم والجماعينيات**، ط1، عمان: دار عمار للنشر والتوزيع، 2005.

17_ الساوري، بو شعيب: **تمثيلات الهوية والآخر قراءة ثلاثة نصوص روائية في الرواية الجزائرية**، ط1، رابطة أهل العلم، 2008.

18_ سرمك، حسين: **المشكلات النفسية لأسرى الحرب**، ط1، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1995.

19_ سليماني، أحمد ياسين: **التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر المعاصر**، ط1، دمشق: دار الزمان للنشر والطباعة والتوزيع، 2009.

20_ أبو صبيح، عمران: **دليل المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي العربية المحتلة**، ط1، عمان: دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، 1993.

21_ صحراوي، إبراهيم: **تحليل الخطاب الأدبي**، دراسة تطبيقية، الجزائر: دار الآفاق، 1999.

22_ الضبع، مصطفى: **استراتيجية المكان**، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، 1998.

23_ عبد الله محمد، مرين، ومحمد، تحريشي: ***حداثة مفهوم المكان في الرواية العربية رواية " وراء السراب قليلا" لإبراهيم درغوثي أنموذجا***، **مجلة الدراسات**: جامعة طاهري محمد بشار، جوان 2016.

24_ عبيدي، مهدي: **جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة**، دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، 2011.

25_ عثمان، بدري: **بناء الشخصية االرئيسة في روايات نجيب محفوظ**، ط1، بيروت: دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، 1986.

26_ عثماني، بولرباح: **دراسات نقدية في الأدب الشعبي**، ط1، الجزائر: الرابطة الأدبية الشعبية لاتحاد الكتاب الجزائريين، 2008.

27_ غنيم، محمد أحمد: **المدينة، دراسة في الانثروبولوجيا الحضرية**، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1987.

28_ غنيمي، محمد هلال: **النقد الأدبي الحديث**، ط6، القاهرة: شركة نهضة مصر، 2005.

29_ كرم، يوسف: **تاريخ الفلسفة الحديثة**، ط5، القاهرة: دار المعارف، 1986.

30_ لبيب، الطاهر: "**الآخر في الثقافة العربية**"، **في كتاب صورة الآخر: العربي ناظرا ومنظورا إليه**، تحرير الطاهر لبيب، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1999.

31_ لحمداني، حميد:

***بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي**، ط3، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، 2000.

***بنية النص السردي**، ط1، بيروت: المركز الثقافي، 1991.

32_ ماضي، شكري عزيز: **كتاب الرواية والانتفاضة نحو أفق أدبي**، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2005.

33_ محادين، عبد الحميد: **جدلية المكان والزمان والإنسان في الرواية الخليجية**، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2001.

34_ مرشد، أحمد: **البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله**، ط1، لبنان: دار فارس، 2005.

35_ **الموسوعة الفلسطينية**، ط1، م2، دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984.

36_ نذير، أحمد: **الإسلام في التاريخ العالمي: منذ وفاة الرسول محمد(صلى الله عليه وسلم) وحتى الحرب العالمية الأولى**، المعهد الأمريكي للثقافة والتاريخ الإسلامي، 2001.

37_ أبو نزيه، نضال: **أدب السجون**، ط1، دار الحداثة، 1981.

38_ نصر، محمد: **الانتفاضة بداية أم نهاية**، الناشر المؤلف، 1988.

39_ النعمان، منصور: **فن كتابة الدراما للمسرح الإذاعة والتلفزيون**، الأردن: دار الكندي للنشر والتوزيع، 1999.

40_ النمر، إحسان:

*أحوال عهد الإقطاع وفيه البرهنة على استقلال الضفتين في هذه العهود (استقلالا داخليا كاملا)، ج2، نابلس: مطبعة النصر التجارية، 1961.

*جبل نابلس والبلقاء أحوال عهد الإقطاع (وفيه البرهنة على استقلال الضفتين في هذه العهود) استقلالا داخليا شاملا، ط1، نابلس: مطبعة النصر التجارية، 1961.

41_ هياس، خليل شكري: **سيرة جبرا الذاتية في البئرالأولى وشارع الأميرات**، دمشق: مطبعة اتحاد الكتاب العرب، **3**.2001.

المراجع المترجمة

1- باشلار، غاستون: **جماليات المكان**، تر: غالب هلسا، ط3، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1987.

2- التطيلي، بنيامين: **رحلة بنيامين**، ط1، تر: عزرا حداد، دراسة وتقديم: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، أبو ظبي: المجمع الثقافي، 2002.

3- تودوروف، تزفيطان: **مفاهيم سردية**، تر:عبد الرحمن مزيان، ط1، منشورات الاختلاف، 2005.

4- شولش، الكزاندر: **تحولات جذرية في فلسطين 1856_1882 دراسات حول التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي**، تر: كامل جميل العسلي، ط2، عمان، الأردن، 1993.

5- هامون، فيليب: **سيمولوجية الشخصية الروائية**، تر: سعيد بنكراد، ط1، سوريا: مكتبة النقد الأدبي.

4. الدوريات والمقالات

1- بسيسو، عبد الرحمن: بنية المكان في الرواية الكنفانية، مجلة الجديد، 2015/7/1.

https://www.aljadeedmagazine.com

2- الاستيطان، موسوعة الجزيرة.

http://www.aljazeera.net/encyclopedia/conceptsandterminology/2015/12/18

3- جبر، يحيى، حمد، عبير: حضور المأثورات الشعبية في أعمال سحر خليفة، دراسة، http://blogs.najah.edu/staff/yahya-jaber/article/article-71 .2009/2/9

5- حسن، سما: قاصة فلسطينية من جبل النار تستنطق ذاكرة الزيتون سهاد عبد الهادي. كتبت رواياتي على الدروب، 1/يناير/2009.

http://www.alittihad.ae/details.php?id=85&y=2009

6- الحواري، رائد:

*العهد التركي في رواية نابلس جمر تحت الرماد هاني أبو غضيب، 2017/1/21.

https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2017/01/24/427266.html

*الأنثى والحرب في رواية- لغة الماء- عفاف خلف "هيمنت الأنثى على أبطال الرواية"، 2017/3/23.

http://www.m.ahewar.org/s.asp?aid=552480&r=0

*رواية الفئران عباس دويكات، الحوار المتمدن، العدد: 4592، 2014/10/3.

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=435631

7- خضير، جبر: نابلس في كتب الجغرافيين والرحالة العرب والمسلمين، دراسة، 2005.

https://ency.najah.edu/node/87

8-خليل، الموسى: ***التحولات النفسية الذهنية في الشخصية الروائية***، **مجلة المعرفة**، ع395، 1996.

9- الخليلي، علي: مع رواية " ربيع حار" للروائية سحر خليفة تحولات أم سعاد في مواجهة الخوف والحصار، 2007/4/5.

http://www.al-ayyam.ps/ar_page.php?id=2fe6ee7y50228967Y2fe6ee7

10- سارتر، جان بول: الجحيم هو الآخرون، مقال مترجم. http://elmawja.com/blog/الجحيم-هو-الآخرون-جون-بول-سار

11- السعدون، نبهان: ***الشخصية المحورية في رواية "عمارة يعقوبيان" لعلاء الأسواني***، دراسة تحليلية، جامعة الموصل/ **مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية**، المجلد 13، العدد 1، 2014

12- سمور، سري: إسراء عيسى في رواية حياة ممكنة الشخصيات تتحدث عن نفسها والبطلة تبحث عن مظاهرة صغيرة في الضفة، الأيام، 2013/1/29.
http://www.al-ayyam.ps/ar_page.php?id=bd4abe6y198487014Ybd4abe6

13_ الشامي، حسان: **المرأة في الرواية الفلسطينية 1965-1985**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دراسة، 1998.

13_ أبو شهاب، رامي: فيليب هامون وسميولوجية الشخصيات الروائية، القدس العربي، 19/سبتمبر/2017. http://www.alquds.co.uk/?p=79267

14- العيلة، زكي: فضاءات المكان والزمان في الرواية الفلسطينية، مؤسسة القدس للثقافة والتراث، 2011/9/6. http://alqudslana.com/index.php?action=article&id=2118

15_ فتاح، عبد الرحمن علي: ***تقنيات بناء الشخصية في رواية ثرثرة فوق النيل***، جامعة صلاح الدين، **مجلة كلية الآداب**، ع 102.

16- الفيومي، سعيد: تجليات القدس في الرواية الفلسطينية، مؤسسة القدس للثقافة والتراث، 2011/4/2.
http://www.alqudslana.org/index.php?action=article&id=1127

17_ القاسم، نبيه: دراسة: سحر خليفة والربيع الحار رؤية ثاقبة وموقف واضح، 2007/10/12_2007/10/20.
http://www.nabih-alkasem.com/sahar_rabe3_7ar.htm

18_ ناووي، يوسف: التراث الشعبي من إعادة الحكاية إلى هجنة الكتابة في الرواية المغربية، ثقافات، 29/يوليو/2016 Thaqafat.com2016/07/32319

19_ نصير، أمل: الكاتبة الفلسطينية سهاد عبد الهادي تتحدث عن معاناة الكاتبة والكتابة، الرأي الثقافي، 2008/1/1. http://alrai.com/article/253379/

5. الرسائل الجامعية

1- أيوب، محمد: **الشخصية في الرواية الفلسطينية المعاصرة في الضفة الغربية وقطاع غزة 1967-1993**، جامعة النجاح الوطنية، رسالة ماجستير، 1996.

2- حمدان، عبد الرحيم حمدان: **بناء الشخصية الرئيسية في رواية (عمر يظهر في القدس) للروائي نجيب الكيلاني**، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، 2011.

3- رواق، **نور الهدى: الأنا والآخر في ديوان أبي نواس، الجزائر**: جامعة محمد- خيضر- بسكرة، رسالة ماجستير، 2015-2016.

4- طبنجة، كرم: **المكان في القصة القصيرة العربية**، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 2002.

5- العرة، رئيسة: **نابلس في العصر المملوكي 648-923هـ (1250-1517م)**، جامعة اليرموك، رسالة ماجستير، 1995.

6- اللبدي، نزار: **الحياة الأدبية والثقافية في نابلس وما حولها في العصر العباسي**، الجامعة الأردنية، رسالة ماجستير، 1987.

7- لداودة، رضا: **رواية القدس في الشعر الفلسطيني المعاصر (1967_2004)**، رسالة ماجستير، جامعة بير زيت، 2005.

8- مزياني، أسمهان: **التراث الشعبي في رواية " سيد الخراب لـ: كمال قرو**، رسالة ماجستير منشورة، جامعة محمد خيضر_بسكرة، الجزائر، 2015_2016.

9- ناصر، أحمد: **القرية والمدينة في الرواية الفلسطينية المعاصرة(أحمد رفيق عوض نموذجا)**، جامعة بير زيت، رسالة ماجستير، 2006.

10_ النتشة، جميلة: **المكان في روايات سحر خليفة**، جامعة الخليل، رسالة ماجستير، 2012.

المعاجم

1- البرغوثي، عبد اللطيف: **القاموس العربي الشعبي الفلسطيني (اللهجة الفلسطينية الدارجة)**، 2001.

2- البستاني، بطرس: **محيط المحيط**، لبنان: مكتبة لبنان، 1987.

3- فتحي، إبراهيم: **معجم المصطلحات الأدبية**، تونس: المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، 1986.

4-لوباني، حسين علي: **معجم النبات في التراث الشعبي الفلسطيني**، ط1، بيروت: مطبعة لبنان وناشرون، 2009.

5- مجمع اللغة العربية الأردنية: **معجم ألفاظ الحياة العامة في الأردن**، ط1، بيروت: مكتبة لبنان وناشرون، 2006.

6- مصطفى، إبراهيم وآخرون: **المعجم الوسيط**، تركيا: المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر.

7-ابن منظور: **لسان العرب**، ط1، بيروت: دار صادر، 2000.

An-Naiah National University
Faculty of Graduate Studies

Presence of the City of Nablus in the Modern Palestinian Novel 2000-2014 (selected samples)

By
Dana Abed Al Jabbar Mahmoud

Supervisor
Dr. Odwan Nemr Odwan

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Arabic Language & Literature, Faculty of Graduate Studies, An-Naiah National University, Nablus, Palestine.

2018

Presence of the City of Nablus in the Modern Palestinian Novel 2000-2014
(selected samples)

By
Dana Abed Al Jabbar Mahmoud
Supervisor
Dr. Odwan Nemr Odwan

Abstract

This study tackles the presence of the city of Nablus in the modern Palestinian novel from 2000 to 2014. The study shows the presence of the city in the novels to highlight major places, the mentioning of the Intifada in these novels and traditions of the Nabulsi community. The study analyzes main and the secondary characters and shows the "I" and the “other person” characters in the novel.

The study consists of an introduction, three chapters and a conclusion. The introduction discusses literature in general and its impact on our lives with its different patterns and the importance of the novel for communities. It also reveals the city of Nablus, its importance and the reasons this city was chosen for the study. The introduction has the answers for most of the questions this study attempts to address considering important studies on Novel brieflyshowingits methodologies and content.

The first chapter shows the place in the Palestinian novel. In addition to a number of scripts where the city of Nablus was mentioned. The chapter shows the open and close places, what do they stand for, and its impact on the characters and events.

The second chapter discusses the presence of the Intifada in the Nabulsi novel focusing on its major elements, its connection to the resistance and the image of the occupation and its violations against the Palestinians and their cities.

The third chapter shows the traditions of the city of Nablus, its social life and the existing norms.

The forth chapter tackles main and secondary characters showing their physical, psychological, cultural and social dimensions. It also addresses the Palestinian "I" and the "other person" characters (the Turkish, the foreigner, the Israeli) then comes the conclusion that shows the major findings of this study.

The most results for this study are: variety of places of fiction and it's distributed in different ways with afocus on the city of Nablus and its old town, and I also attended the Intifada and it's many manifestations. The study shows the most important traditions in Nabulsi society, Nabulsi personalities were also included different segments of the Nabulsi community. Finaly, the study shows the "I" and the "other person" in the novel under study.